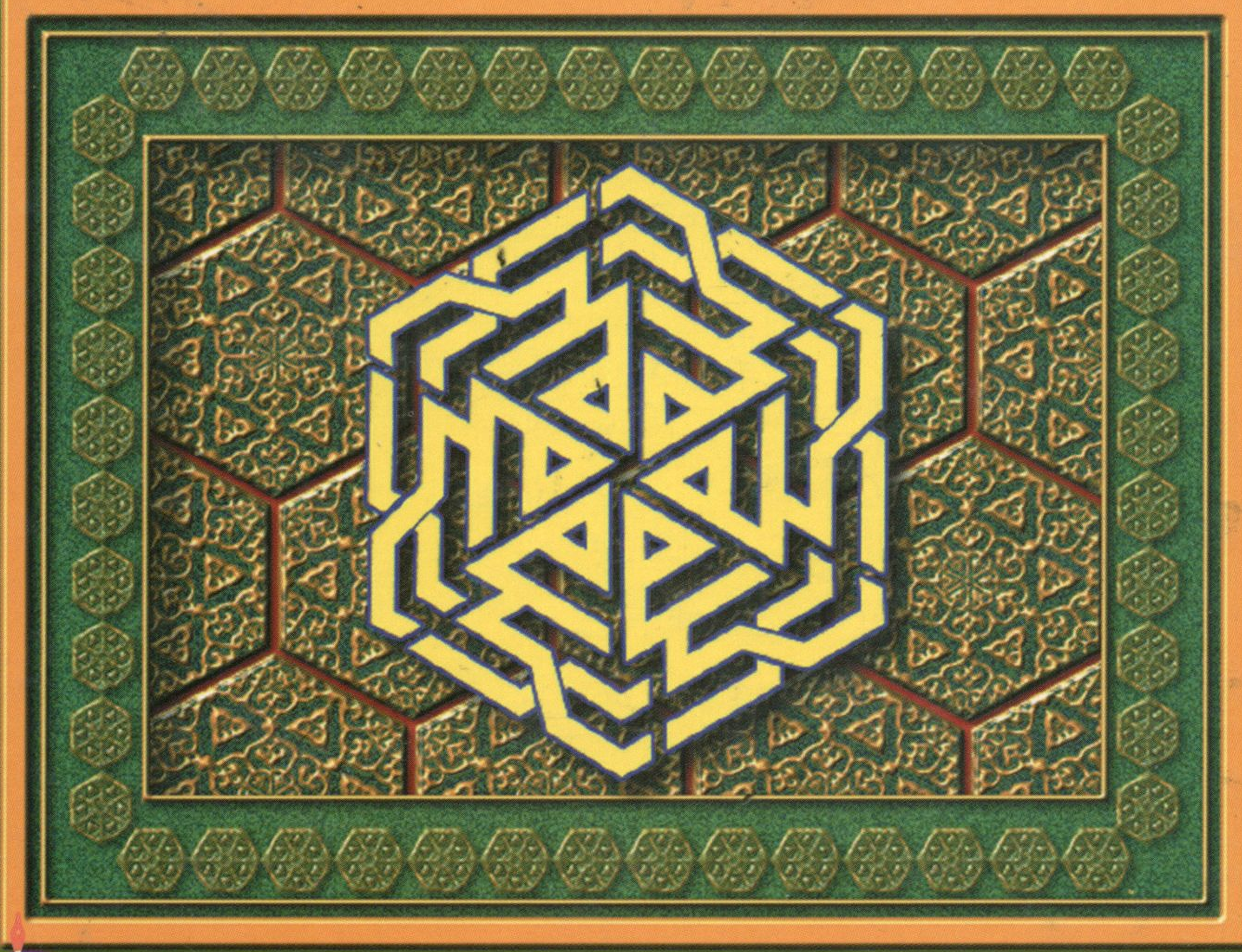
حقيقة المسيح والتثليث

تفسير موضوعي

جامع بين المأثور والمعقول والمنقول
مستمد من أوثق الكتب





منصور تميم النتشة

حقيقة المسيح
والتثليث

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (1941/ 6 / 2008)

222.8

النتشة/ منصور

حقيقة المسيح والتثليث/ منصور عبد المجيد تميم النتشة عمان

المؤلف. 2008.

( ) ص.

ر.أ. (2008/6/1941)

الواصفات/ تفسير القرآن//القرآن// المسيحية//الانبياء//المسيح/

❖ أعدت دائرة المكتبه الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

للاستفسار المؤلف 00962 788585249

حقيقة المسيح والتثليث

تفسير موضوعي

جامع بين المأثور والمعقول والمنقول

مستمد من أوثق الكتب

الطبري الكشاف، القرطبي الألوسي، ابن كثير البحر المحيط، صفوة التفاسير: حاشية الصاوي على الجلالين.

منصور تميم النتشة

يرصد ثمن هذا الكتاب للأيتام والفقراء والمساكين

الاهداء

أهدي كتابي هذا لأبي وأمي. ولكل يتيم فقد

حنان ابويه – وإلى من اراد الخروج من الظلمات الى

النور "" وإلى اخي وائل القواسمه ابا صهيب""

حفظة الله ورعاه.

سائل المولى عز وجل أن يتقبل منا هذه الدعوى الى

الله وان يجعله في ميزان حسناتنا.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

الفهرس

الباب العاشر

الباب الحادي عشر

الباب الثاني عشر

الباب الثالث عشر

الباب الرابع عشر

الباب الخامس عشر

الباب السادس عشر

الباب السابع عشر

الباب الثامن عشر

الباب التاسع عشر

الباب العشرون

تقديم

كلمة سماحة وزير الأوقاف سابقاً عبد العزيز الخياط حفظه الله ورعاه.

نهج علماء التفسير مناهج عدة في تفسير القرآن الكريم، ووضعوا القواعد التي تضبط التفسير، فمنهم من فسره كله ومنهم من اقتصر على بعض السور، ومنهم من اهتم بالتفسير اللغوي في شرح الآيات او مفردات القرآن. ومنهم من غلبت عليه الآراء الفلسفية كتفسير الرازي، ومنهم من اهتم بالحديث لتفسير القرآن الكريم كابن كثير وكان يهتم ببيان زيف الاسرائيليات، وبعضهم غلبت عليه الآراء الاعتزالية كتفسير الزمخشري وقد تتبعه النسفي يبين آراء أهل السنة في كل موطن بيَّن الزمخشري فيه الرأي الاعتزالي. وكانا يكتبان تفسيرهما في جوف الكعبة عالِمَيْن متحابين مختلفين في الرأي، ومن المعروف شيخ المفسرين الفقيه المؤرخ الطبري في تفسيره الجامع بالمأثور ثم الامام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وقد حشيت بعض التفاسير بالاسرائيليات كتفسير الخازن والكلبي والثعالبي والتفسير المنسوب لعبد الله بن عباس، وبعض المفسرين اقتصروا على آيات الأحكام كالجصاص (الحنفي). وقد فسر أبو حيان التوحيدي القرآن بحسب نزول الآيات نهجاً متميزاً عن غيره.

وقد آهتم العلماء المحدثون بالتفسير ونهجوا مناهج مختلفة فمنها الاتجاه السلفي كتفسير المنار للشيخ رشيد رضا الذي بيّن فيه آراء استاذه الشيخ محمد عبده، وتفسير محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي. ومنها الاتجاه العلمي كتفسير الجواهري الذي حاول ان يُخضع آيات القرآن لنظريات العلم، وقد حاول محمد عزة دروزة أن يفسر القرآن تفسيراً حديثا يجزء فيه المجموعات والفصول الى جمل تامة يشرح مدلولاتها وتبع أبا حيان التوحيدي

في أسلوبه، ومن أشهر من ألف تفسيراً جامعاً في عصرنا الحاضر الشيخ محمود الألوسي. والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في (تفسير التحرير والتنوير)، والتفسير الأدبي الاجتماعي لسيد قطب (في ظلال القرآن)، وكثرت التآليف التفسيرية من مجموعة من العلماء كتفسير غاية البيان والاهتمام بالتفسير الموضوعي كتفسير الشيخ اطفيش العماني الاباضي. وقد اهتم بعض العلماء بتفسير سورة أو سور من القرآن الكريم كتفسير سورة الفاتحة للشيخ محمد عبده

وبين يدي كتاب تفسير موضوعي لمجموعة من الآيات الكريمة التي تتعلق بسيدنا عيسى عليه السلام للسيد منصور تميم النتشه نهج فيه نهجاً موضوعياً جمع بين المأثور والمعقول، وتحرى فيه الدقة في الشرح والأمانة في السرد، وتتبع الآيات التي تتعلق بموضوعه وسماه (حقيقة المسيح والتثليث)، وخاض في غمار التفسير بأسلوب قل من المفسرين من اعتمد نهجه وهو جمع الآيات ذات الموضوع الواحد وتفسيرها تفسيراً موجزاً سلس التعبير، حسن العرض، بيِّن الفكرة، وأوضح الغرض.

وقد قدَّم لموضوعه بالحديث عن طريق الإيمان وأركانه في الباب الأول، وجعل كتابه يشتمل على عشرون باباً، وجعل في نهايته فصلاً عنون له بِنداءات ذكر فيها الآيات التي يخاطب بها الله سبحانه الناس أن يفيئوا إلى الحق ويحكموا العقل ويرجعوا عن ضلالاتهم فيؤمنوا بما دعت إليه الأنبياء السابقون والكتب السماوية وأن عليهم أن يدركوا حقيقة عيسى عليه السلام، وحقيقة ما جاءهم به محمد عليه الصلاة والسلام وأنه والأنبياء من مشكاة واحدة يشربون من معين واحد ويدعون بدعوة التوحيد الخالصة من لوثات الفكر والعقائد، المنزهة لله تعالى عن المثيل والولد، وختمه ببيان سماحة الإسلام في معاملة للبشر على سواءَ.

وكان في عرضه لتفسير الآيات يتجنب الدخول في تفاصيل الآراء والأقوال، ويتحرى أوثق الروايات وأصدقها، لتبرئة المسيح عليه السلام مما نسبه الأتباع إليه، وأن خَلْقَهُ كان معجزة إلهية فالذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق بشراً من غير أب، وقد أكد في الباب الأول على الايمان بالله وما انزل على جميع الأنبياء﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (ال عمران 84) كما أكد على أن الإسلام خاتمة الأديان وهو دين جميع الأنبياء والرسل ونفى ما ادعته اليهود من أن سليمان عليه السلام كان ساحراً، واستمر في التأكيد على أن الهدى هدى الله يهدي به من يشاء من عباده.

وكأن ما قدمه قبل الحديث عن مبعث عيسى ونبوته وعن السيدة مريم العذراء وولادتها لعيسى عليه السلام، مدخلاً حسناً لنفي التثليث والألوهية لعيسى ومريم وتنزيها لله سبحانه

وقد استمر المؤلف السيد النتشة في سرده المسترسل في اسلوبه الموجز المبسط وشرحه عن المفسرين بشكل وأسلوب حسن متحدثاً عن مباهلة نبينا محمد ﷺ مع نصارى نجران، ثم تناول موضوع الصلب ونفاه وأن الروم صلبوا شبيهه، وتحدث عن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام وبشارته بالنبي محمد (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) ويذكر ما ورد في التوراة والانجيل من البشارة به ويعرض لبعض المعتقدات النصرانية ويؤكد تنزيه الله تبارك وتعالى عن الصاحبة والولد.

وأكتب هذه الكلمة لأخينا السيد منصور تميم النتشة تشجيعا على الاستمرار في الانتاج العلمي متمنياً له التوفيق والنجاح، وأن يظل دائماً رائده البحث العلمي والانتاج الفكري الطيب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن أعظم شيء وأنفع ما في هذا الكون الذي نعيش عليه هو أن يكون إيمان المرء صحيحاً ومقبولاً عند الله سبحانه، فالدين للناس جميعا، وليس مقصورا على أمَّة دون أمَّة أو على شعب دون شعب

فالذي يسمع بالدين ولا يناقشه ولا يتفهم ما فيه ولا ينتفع به فقد حرم من هذا الخير وفاته حظ عظيم.

وأسوأ من هذا كله من اتخذ من الدين مُطية ليصل به إلى ما تصبوا اليه نفسه من المكاسب الشخصية ويلقي بين الناس العداوة والبغضاء بدعوى التعصب للدين وللعقيدة.

فالدعوة الى الدين بالحسنى وبالموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن وبالجدل المثمر هو اساس جميع الشرائع، وهذا ما يدعوا إليه دين الإسلام صريحا واضحا دون لبس يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[1] فالجدل المثمر النافع دون تعصب أو عناد جائز، ومنهي عنه إذا خرج عن هذا الإطار

وفي خضم هذا العمل وهذه الدعوة سنجد نفوساً خبيثة وقلوباً حاقدة تعترض طريق الدعوة الى الله فيقع الصراع بين النفوس الزكية الطاهرة وبين النفوس الخبيثة. ولا مانع لو قتل في سبيلها الأخيار من الناس والدعاة حتى لا تتوقف مسيرتها ولتصل الى كل فرد في هذا العالم، فمشروعية القتال فقط لتوصيل الدعوة عند منعها أو لدفع الضرر عن المسلمين.

---

(1) سورة العنكبوت آية رقم 46

وما تلك الحروب التي نراها الا بسبب التجافي بين الشعوب وبين الناس، وتبعية الجهلة من الناس لمتبوعيهم من المتعصبين الضالين.

ففي القرون الوسطى دارت بين الشريعة النصرانية والدين الاسلامي حروباً دامية متصلة سالت فيها الدماءَ وتحولت مناطق بأكملها الى خراب بسبب الجهل وعدم التقارب.

فحق على كل انسان في هذا العصر عصر التقدم والمعرفة والعلم آن يمعن النظر ويتفكر ولا يلغي عقله وعلمه، ويمحو من مخيلته تلك الأيام المظلمة ويطوي الصفحات السوداءَ، ويدرس الدين بنية صادقة، وقلب طاهر صادق، ويدعوا الله سبحانه أن يلهمه الطريق المستقيم الصحيح.

فإنه بلا شك ولا ريب سيصل بإذن الله الى الحق القويم والدين الصحيح الذي يركن اليه قلبه ويقتنع به عقله.

فالتعصب الأعمى والتضليل والمخادعة يجب بترها، والتحاكم الى العقل والعلم هو أول طريق المعرفة والنجاة.

فالعقل والعلم معاً يتفقان مع الدين ويبرزانه على حقيقته وليس كما يخيل الى بعض الناس أن العلم يجافي الدين ويعارضه

فالعالم كلما زاد في علمه كلما انكشفت له حقائق هذا الكون فإن أول ما نزل من القرآن قوله سبحانه وتعالى ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (1)

فالاسلام يدعو جميع البشر الى الايمان بالله سبحانه وبكتبه وبرسله وباليوم الأخر، فهو سبحانه رب الناس جميعاً وكتبه منزلة عليهم ورسله أرسلها اليهم والبشر عائدون اليه يوم القيامة فيحاسبهم على أعمالهم.

فالدين سبب للتحابب والألفة بين الناس وليس للتفرقة وجلب العداوة والبغضاءَ.

فأهل الكتاب أول من دعوا الى الايمان بقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ

---

(1) سورة العلق الآيات رقم 1، 2، 3، 4، 5

﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[1] اقرأ تفسيرها في باب طريق الايمان وأركانه.

فالإسلام أقرب ما يكون الى النصرانية اذ ليس هناك تعصب للجنس، لأنهم خليط من جميع أجناس البشر، فليس هناك حواجز بينهم، بعكس اليهود الذين عزلوا أنفسهم عن الناس وادعوا أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن كل بني البشر عبيد لهم، وعلى ذلك يعاملون الناس.

فاليهود والنصاري والمسلمون يؤمنون بالله

والمسيح عليه السلام هو مركز الخلاف بين المسلمين والنصارى فالهدف من هذا البحث هو عرض هذا الرسول على حقيقته التي ليس بها لبس أو تشكيك، وتصحيح معتقدات كثير من الناس عن الله سبحانه وتعالى.

وسنجد أن هذا البحث مبتعد عن السياسة ولا يوجد فيه تجريح لأحد، ولا هو رأي عالم من العلماءَ وليس مأخوذاً من كتب أهل الكتاب، ولا هو مقارنة بين الشرائع، وانما هو تفسير للآيات التي ذكر فيها عيسى ابن مريم في القرآن الكريم فمرة يأتي عليه السلام باسم عيسى ابن مريم، ومرةً باسم المسيح، ومرة باسم ابن مريم فقط دون عيسى.

وقد جمعنا هذه الآيات التي ذكر فيها عيسى ابن مريم عليه السلام من القرآن الكريم وفسرناها من غير أن نخوض في خلافات المفسرين مبتعدين عن الآراء المتشعبة أو المغرضة، ضاربين عرض الحائط بالاسرائيليات غير ملتفتين الى الأقوال والشروح التي لا يقبلها العقل أو ترفضها النصوص الشرعية.

ومفسرين الآيات بأقوال الرسول محمد ﷺ وذكر الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وإن هذا البحث لن يقدم ولن يؤخر شيئاً بالنسبة لإنسان ينظر الى هذا الدين والى هذا القرآن نظرة كراهة، وإنما ينتفع به من كان همه البحث عن الحقيقة، وآراد المعرفة، وأناله الله البصيرة.

---

(1) سورة النساء 136

فالقرآن الكريم يخاطب الله عز وجل به جميع البشر على اختلاف الوانهم والسنتهم، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وواجب كل إنسان أن يبحث عن الحقيقة، لأنه لا يعذر الرجل بجهله يوم القيامة، فالبحث واجب خصوصاً بعد سماعه بالرسول المبعوث أي بمحمد ﷺ وبالقرآن الذي نزل عليه

وبعد أن أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين وختمهم بمحمد ﷺ لم يبق للناس على الله حجة بعد الرسل فقد جاءك أيها الإنسان البشير النذير، والسراج المنير، والنور المبين، والقرآن العظيم، فيه خبر من قبلنا، ونبأ من بعدنا، من صدَّقه واتَّبعه هُدي الى الصراط المستقيم ومن كذبه فقد ضل ضلالاً بعيداً

وفمن الواجب على كل إنسان أن يطلع على هذا القرآن ويدرس ما فيه.

فالقرآن الكريم رسالة من الله لخلقه أمرنا أن نبلغها لهم كما أمر أنبيائه، فنسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ويسامحنا على هذا التقصير في حق البشرية، وما أرى ذلك الا بغياب دولة الإسلام ودولة الخلافة، فهذا بعض ما خسرته البشرية بغياب دولة الإسلام

فلو بعث لك البريد رسالة، أكنت تلقيها في سلة المهملات؟ بل تفتحها وتقرأ ما فيها، فكيف إذا كانت هذه الرسالة من الله خالق السماوات والأرض وخالق كل شيء ولله المثل الأعلى قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَالَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

فالقرآن الكريم نعمة أنعمها الله على بني البشر، لتزكيه نفوسهم، وتطهير قلوبهم، وتصحيح عقائدهم

فواجب على الأمة الإسلامية أن تدرس القرآن الكريم، وتكشف للناس عما فيه من أحكام سامية، فنتج عن ذلك هذا النوع من التفسير، وسمي التفسير الموضوعي لآيات القرآن.

---

(1) سورة الجن 28

نبذة عن التفسير الموضوعي لآيات القرآن

مع أن البحث لا يتسع لمثل هذا الموضوع إلا أنني أحببت أن أقدم نبذة عن التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم وهو أن يعمد الباحث والمؤلف الى جمع الآيات التي هي في موضوع واحد، وتهدف الى معنى واحد، وذكرت لغرض واحد، وإن اختلف مكان نزولها، وتعددت السور التي ترتبت فيها، واختلف زمان نزولها.

ثم لا يحاول تجزئتها أو تفسير بعضها وترك البعض الآخر فإن الآية الواحدة مهما تعددت قضاياها فهي في الحقيقة تكون قضية واحدة وتسعى الى غرض واحد.

والأمثلة على التفسير الموضوعي كثيرة جداً في القرآن، وهي بحاجة ماسة الى أن يتناولها العلماء والباحثون بنوع من العناية والاهتمام حتى يُخَرجوا للأمة كنوز القرآن الكريم وجواهره ويقدموها للأمم، فمنها آيات التوحيد ومنها آيات البر والصلاة والحج والزكاة والصوم والأخلاق والقسم وغير ذلك من الموضوعات الهامة التي تمس حياة الناس والشعوب جميعاً.

وقد ألف أحد المستشرقين الألمان كتاباً فصل فيه آيات القرآن الكريم الى ثمانمائة موضوع سماه "تفصيل آيات القرآن الكريم" تحت عناوين مختلفة، ترجم هذا المؤلف الى سبع لغات، وهو موجود باللغة العربية في المكتبات الاسلامية بالقاهرة وغيرها.

ثم إن الناظر في كتب التفسير الكثيرة المختلفة على مر الأيام والتي لا يمكن حصرها لا يجد فيها من اعتنى منهم بجمع آيات من كتاب الله تعالى تهدف الى موضوع واحد، اللهم إلا النذر اليسير، مثل العلامة "ابن القيم الجوزية في كتابه البيان في أقسام القرآن، وجمع آيات القسم، والعلامة "أبو عبيده ابن المفتي" في كتابه "مجاز القرآن وجمع آيات المجاز" والراغب الأصفهاني" في كتابه "مفردات القرآن وغيرهم من العلماء الإجلاءَ.

فإن نشأة هذا النوع من التفسير قد ظهرت بوادره في الزمان القديم وإن لم يقصد أصحابها أن يجعلوها منهجاً مستقلاً ولم يظهر هذا النوع من التفسير إلا بعد إنشاء جامعة الأزهر وإنشاء كلياته العديدة وكان من بين أقسامه قسم

التفسير وعلومه، ثم بعد ذلك ظهرت مؤلفات عديدة لهذا النوع من التفسير مثل كتاب الربا في القرآن الكريم للأستاذ أبو الأعلى المودودي وغيره من العلماء الإجلاء الأفاضل. انتهى

وقد بوبنا هذا الكتاب الى أبواب متعددة مما لا بد منه من مقدمات حتى يكون القارئ على علم مما يقرأ فأول باب أسميناه "طريق الايمان وأركانه" حتى يسير القارئ على أسس وقواعد مما لابد منها حتى لا يضل الطريق والوصول الى الهدى والصواب والايمان الصحيح ورضى الله والخلود في نعيم مقيم خالداً فيه إن شاء الله.

وأول من أمرهم الله سبحانه وتعالى بالايمان به وبرسوله محمد ﷺ وبالقرآن الذي نزل عليه هم بنوا اسرائيل فقد كانوا يعلمون بمجيئه صلوات الله وسلامه عليه لأنه مكتوب عندهم في التوراة "أي ما يسمونه بالعهد القديم" وكانوا يظنون أنه سيبعث منهم – وكانوا يقولون لمن حولهم من العرب سيبعث الله رسولاً منا فنؤمن به وننصره ونظهر عليكم أي ننتصر عليكم وعلى العالم أجمع وكانوا ينتظرون مبعثه عليه السلام، فلما بعث من العرب كفروا به وحاربوه حسداً وبغيا، ومن أراد المزيد فليطلع على آية رقم 89-90 من سورة البقرة.

وبعد فلندع النظم القرآني يتحدث عن ذلك الأمر أي أمر الله سبحانه بني اسرائيل الايمان برسوله محمد صلى الله عليكم وسلم وبالقرآن الذي نزل مصدقاً للتوراة فيقول سبحانه.

الباب الأول

طريق الإيمان وأركانه

الباب الأول

طريق الايمان وأركانه

سورة البقرة آية رقم 40

يقول تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل بقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ يا أولاد العبد الصالح يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي اذكروا نعمة الله عليكم وعلى آبائكم: فقد فجر لهم الحجر، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم من عبودية فرعون، وجعل منهم الأنبياء والرسل، وأنزل عليهم الكتب، ونعمه على بني اسرائيل لاتعد ولا تحصى، ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ وأخلصوا ما عاهدتموني عليه من الطاعة والايمان أوف بما عاهدتكم عليه من الثواب العظيم وحسن الجزاء ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ وأجعلوا الخشية لي دون غيري

سورة البقرة آية رقم 41

قال تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

وأمنوا بالقرآن الذي أنزلته مصدقاً للتوراة في أمور التوحيد والنبوة فما وافق القرآن من التوراة نأخذ به لموافقته للقرآن وما خالف القرآن، فإما أن يكون محرفاً أو منسوخاً. فما بأيدي اليهود والنصارى من الكتب باطلة أضعاف حقه﴿ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ﴾ ولا تكونوا أول من كفر من أهل الكتاب فإن من الواجب أن تكونوا أول من آمن – لأنه مكتوب عندكم في التوراة وانتم مأمورون بإتباعه ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ولا تعتاضوا عن البيان والايضاح ونشر العلم في الناس بالكتمان واللبس لتستمروا على رئاستكم في الدنيا الحقيرة الزائلة – ومما عندهم من العلم صفة رسول الله محمد ﷺ وبشرى مبعثه﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾ وخافون دون غيري.

سورة البقرة آية رقم 91

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

وإذا قيل لليهود آمنوا بالقرآن الذي نـزل علـى محمـد واتبعـوه ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ قالوا لا نؤمن إلا بـالتوراة ولا نؤمن بغيرها ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ ﴾ وهم يعلمون علم اليقين أن القرآن نزل من عند الله مصـدقاً لمـا معهـم مـن التـوراة ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ

﴿ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ قل لهم يا محمد أنتم تدَّعون أنكم تؤمنون بالتوراة وتتمسكون بما فيها ولا تريدون غيرها وقد جاءكم رسل وأنبياء مصدقون بالتوراة عاملون بها ولم ينسخوا منها شيئاً ثم قتلتموهم بغياً وعناداً فأنتم كاذبون بادعائكم أنكم مصدقون بالتوراة بل تتبعون شهواتكم وأهوائكم – وذلك تعريض للرسل الذين قتلوهم بعد الرسول موسى عليه الصلاة والسلام مع أنهم جاءوا مصدقين بالتوراة عاملين بها.

سورة البقرة آية 136

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ (١٣٦) ﴾

قولوا أيها المؤمنون آمنا بالله وما أنزل الينا من القرآن العظيم ﴿ وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ﴾ وقولوا آمنا بالصحف التي نزلت على إبراهيم والتي تداولها من بعده أبناؤه وخص بالذكر الأنبياء إسماعيل وإسحاق وابن إسحاق يعقوب الذي هو إسرائيل عليهم السلام والأسباط وذراري أبناء يعقوب الاثنى عشر – وهم الأسباط ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ وقولوا آمنا بالتوراة التي نزلت على موسى وبالإنجيل الذي نزل على عيسى ابن مريم ﴿ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ ﴾ وقولوا آمنا بكل كتاب أنزل على أنبيائه وبكل آياته ومعجزاته التي أعطاها لرسله

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ لانفرق بين أحد من رسله بل نؤمن بهم جميعاً وبكتبهم ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ونحن مخلصون لله منقادون لأمره مسلمون عاملون بطاعته.

عن ابن هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[1]

وأيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله ﷺ "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية"[2] المقصود أنه من بلغته رسالة محمد والإسلام واضحة نقية صافية وعلم أن هذه الرسالة هي دين الله الحق التي ليس بها لبس ثم لم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها فهو المقصود بهذا الحديث أما من بلغته مشوهة وأنه دين دماءٍ وذبح لشدة التعتيم والمحاربة فهذا يجب أن يبين له.

---

(1) رواه مسلم

(2) رواه البخاري

سورة البقرة آية رقم 137

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ﴾

فإن صدق أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ بمثل ما صدقتم به أيها المؤمنون بجميع رسله وكتبه، ﴿ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ وإن أعرضوا عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ فإنما هم بمنازعة ومجادلة ومخالفة وتعدي ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فسينصرك الله عليهم ويظفرك بهم ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وهو تعالى له السمع المطلق يسمع جميع الخلائق وله العلم المطلق يعلم كل شيء سبحانه وما يضمرونه

سئل بعض المتقدمين عن رجل قيل له أتؤمن بفلان النبي، وسماه باسم لم يعرفه، فلو قال نعم فلعله لم يكن نبياً فقد شهد بالنبوة لغير نبي، ولو قال لا، فلعله نبي فقد جحد نبياً من الأنبياءَ، فكيف يصنع؟ فقال ينبغي أن يقول إن كان نبياً فقد آمنت به.

من هم الاسباط

تزوج يعقوب عليه السلام، لائقة بنت ليا بن ثوبل بن إلياس فولدت له دينه، وروبل وهو أكبر أولاده، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وريالون، ويشجر، ثم ماتت لائقة فتزوج أختها راحيل بنت ليا فولدت له يوسف وبنيامين، وولد

له من سريتين له اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهبة، دان ونفتالي وجاد واشر فكان بنوا يعقوب إثني عشر سبطاً لا يعلم عددهم إلا الله. [1]

والوحيد من بين أبناء يعقوب عليه السلام كان نبيا هو يوسف عليه السلام.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كل الأنبياء من بني اسرائيل إلا عشراً وهم نوح- وشعيب- وهود- وصالح- ولوط- وإبراهيم- وإسماعيل- وإسحاق – ويعقوب – ومحمد عليهم السلام. [2]

سورة آل عمران آية 81

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾.

يخبر الله سبحانه وتعالى أنه أخذ على النبيين عهداً وميثاقاً بنصرة وإتباع هذا الرسول الذي يصدق بالتوراة والإنجيل مهما بلغوا من العلم والحكمة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ اذكروا يا أهل الكتاب العهد الذي أخذه الله على أنبيائه ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾

---

(1) القرطبي ج 1-2 ص140

(2) القرطبي ج 1-2 ص140

لهما أعطيتكم من كتاب وحكمه[1] ﴿ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ﴾ ثم جاءكم رسول الله من عندي مصدقاً لما معكم من التوراة والإنجيل وهو محمد عليه الصلاة والسلام ﴿لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾ وجب عليكم الايمان به ونصرته ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ قال أأقررتم بهذا العهد والميثاق واعترفتم به ﴿قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ﴾ قالوا اعترفنا به ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ قال إشهدوا على أنفسكم بإقراركم واعترافكم وعلى أتباعكم وأنا من الشاهدين عليكم وعليهم وهذا مما يدل على أن رسالة محمد ﷺ خاتمة لجميع الشرائع السابقة وناسخة لفروعها أو لبعضها.

سورة آل عمران آية رقم 82

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾

فمن أعرض وأنكر هذا العهد وهذا الميثاق الذي قطعته عليكم يا أهل الكتاب فأنتم الخارجون عن طاعتي وغارقون في الإثم.

وهذا العهد مكتوبٌ عندهم في التوراة والإنجيل.

ما من رسول بعثه الله سبحانه وتعالى إلا بشَّر أصحابه ببعثة محمد ﷺ وأوصاهم بإتباعه اذا هم أدركوه فهذا ميثاقاً أخذه الله على أنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مهما بلغوا من العلم والحكمة.

---

(1) ابن كثير ج 1 ص 378.

عن علي بن أبي طالب عن عمه عبد الله بن العباس قال: ما بَعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمداً وهم أحياء ليُؤمِنون به ولينصرونه.[1]

سورة آل عمران آية رقم 84

قَالَ تَعَالَىٰ ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قل يا محمد أنت ومن آمن معك من الناس آمنا بالله وبالقرآن المنزل علينا ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ﴾ وأمنا بما أنزل على ابراهيم من الصحف والتي تداولها من بعده أولاده وخص بالذكر الأنبياء إسماعيل وإسحاق وابن إسحاق يعقوب، والأسباط هم ذراري أبناء يعقوب الأثنى عشر ﴿ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ وما أُنزل على موسى وعيسى من التوراة والإنجيل ﴿ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وما أنزل على الأنبياء جملة ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ لا نفرق بين رسول ورسول فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿

---

(1) القرطبي 583

﴿ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ ونحن مستسلمون له بالطاعة في جميع ما أمر ونهى ومخلصون له بالعبادة.

سورة النساء آية رقم 47

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ ﴾

نداء من الله سبحانه وتعالى للذين أعطاهم الكتاب – والمقصود هم اليهود والنصارى – بقوله سبحانه ﴿ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ آمنوا بالقرآن الذي نزلناه على محمد ﷺ مصدقاً بالتوراة والإنجيل ﴿ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ ﴾ من قبل أن نطمس وجوهكم من الحواس من أنف أو عين أو حاجب حتى تصبح كالأدباء وهذا تشويه عظيم لمحاسن الإنسان – وهو قول ابن عباس[1] ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ﴾ أو نصب عليهم اللعنة ونمسخهم قردة وخنازير كما لعنا ومسخنا أصحاب السبت من اليهود الذين اعتدوا في السبت ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ وأمر الله نافذ مفعول لا يمنعه مانع وليس له دافع.

---

(1) ابن كثير ج 1 ص 507

سورة النساء آية رقم 170

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾ ﴾

نداءٌ من الله سبحانه وتعالى لجميع البشر على وجه الأرض يخاطبهم بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد – ﷺ – بالهدى ودين الحق وبالشريعة السمحة من عند الله ﴿ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ ﴾ فآمنوا بما جاء به من عند الله يكن خيراً لكم- وهو تهديد ووعيد لمن كفر وأنكر نبوة محمد ﷺ أو من قال أنه مبعوث للعرب فقط فهو مبعوث للناس كافة ﴿ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ وإن داومتم على كفركم وجحودكم فإن الله غني عنكم وعن إيمانكم ولا يتضرر بكفركم إذ له ما في الكون عبيداً وملكاً فأين تذهبون وهو سبحانه المسيطر على السماوات والأرض فلا مفر منه ولا من عقابه الأليم ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ والله عليم بأحوال العباد حكيم في تدبير شؤونهم.

سورة الأعراف آية رقم 158

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ

﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ يأمره بأن ينادي ويعرف برسالته الخالدة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ قل يا محمد للبشر ولجميع الخلق على وجه الأرض أنك رسول الله اليهم جميعاً ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

بعثك الله المالك للسماوات والأرض والمتصرف بالخلق الذين عليهما ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا رب ولا معبود ولا إله سواه فهو المتفرد بالألوهية ﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ هو القادر على الاحياء والإفناء ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾ فصدقوا أن الله واحد بَعثَ رسوله محمد نبياً أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة صاحب المعجزات ﴿ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ الذي يصدق قوله عمله وهو يؤمن بما أنزل اليه من ربه ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ اسلكوا طريقه واقتفوا أثره لعلكم تهتدون الى الحق وإلى الصواب.

ففي الصحيحين أن رسول الله صلى عليه وسلم قال " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت

لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة.

سورة النساء آية رقم 136

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾

نداء للمسلمين كافة بأن يثبتوا على الإيمان ويداوموا عليه والمراد إزدادوا في الايمان طمأنينة ويقيناً[1].

وقيل أن هذا الخطاب لمؤمني اليهود خاصة ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود أتوا إلى رسول الله محمد ﷺ فقالوا نؤمن بموسى وبالتوراة وبالعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال رسول الله محمد ﷺ بل آمنوا بالله ومحمد وبكتابه القرآن، وبكل كتاب قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم.[2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ نداء لكل مؤمن على وجه البسيطة يدعوهم به الى الايمان الصحيح والتمسك به بقوله سبحانه ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ آمنوا بالله وبوحدانيته وبرسوله محمد المبعوث رحمةً للعالمين ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ

---

(1) الألوسي ح5 ص 169

(2) الالوسي ج5 ص170

﴿ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ ﴾ وبالكتب السماوية التي أنزلها من قبل القرآن – المراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أو بشيء منها أو بواحدة فقد ابتعد عن الحق والطريق المستقيم بعداً عظيماً، المقصود أنه من كفر وجحد بأحدهما لا يتحقق له الايمان الصحيح وهو كافر ضال.

رَوَى البخاري في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال: ما الايمان قال: الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث.

سورة العنكبوت آية رقم 46

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

يأمر الله سبحانه وتعالى أهل الإسلام بالتلطف في دعوة أهل الكتاب الى الدين بقوله سبحانه ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ لا تدعوا أهل الكتاب الى إعتناق الإسلام والدخول فيه بالقوة بل نا قشوهم في أمر الدين وأدعوهم إليه بالحجة والبيان وبالآيات والبراهين وذلك كله بالحسنى وبالمعروف ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ إلا من أشركَ

منهم بالله وحاربوكم فجادلوهم بأخشن القول وأشده ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ وقولوا لأهل الكتاب آمنا بالقرآن الذي أنزل على رسوله لنا ولكم وآمنا بالتوراة والإنجيل التي أنزلت إليكم ﴿ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ هو الله ربنا كما هو ربكم لا إله غيره ولا معبود سواه ونحن مستسلمون منقادون لأمره مطيعون له.

سورة العنكبوت آية رقم 47

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ (٤٧) ﴾.

كما أنزلنا الكتب على من قبلك يا محمد كذلك أنزلنا اليك هذا الكتاب[1] – أي القرآن الكريم - ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ ﴾ فالذين أخذوا التوراة والانجيل ودرسوها وعملوا بها يؤمنون بهذا القرآن – لأن ذكر القرآن موجود في التوراة والانجيل ﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ ﴾ ومن أهل مكة من يؤمن بهذا القرآن ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ وما ينكر آيات الله ويجحدها مع قيام الحجة إلا المتعمقون في الكفر أي أن من آمن بالتوراة والانجيل وما فيهما من بشرى مبعثه عليه السلام فهو يؤمن بالرسول محمد عليه السلام أما من آمن ببعض التوراة

(1) ابن كثير 3-416.

والإنجيل وكفر ببعضها فهو منفي عنه الإيمان لا بالتوراة ولا بالإنجيل ولا بالقرآن فمن العجب والكذب أن يقول عن نفسه أنه مؤمن بالتوراة والإنجيل.

سورة الحديد آية 7

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

يأمر الله سبحانه عباده بأن يؤمنوا به وبرسوله والثبات على ذلك الإيمان والدوام عليه ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ وأنفقوا من مال الله الذي أعطاكم إياه فهو معكم على سبيل العارية فإنه كان في أيدي من كان قبلكم ثم صار إليكم ثم سيكون مخلفاً عنكم.

روى مسلم في صحيحه عن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ " يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالكَ إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ فإن من آمن وأنفق في سبيل الله له أجر كبير، الايمان أولاً ثم الإنفاق ثانياً لأنه لا ينفع الانفاق دون إيمان.

سورة الحديد آية رقم 8

قَالَ تَعَالَىٰ. ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

يستفهم الله سبحانه وتعالى بإنكار وتوبيخ ممن تركَ الايمان به سبحانه أي بأي عذر تعتذرون وبأي حجة تحتجون على عدم إيمانكم بِٱللَّهِ ﴿ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ ﴾ والحال أن الرسول يدعوكم للايمان بربكم ﴿ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ ﴾ وقد أعطاكم الله من العقول ما تستدلون به على وجود الله قال أبو السعود. وذلك بنصب الأدلة والبراهين والتمكين من النظر[1] وقيل أخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة والبراهين والحجج التي تدعوا الى متابعة الرسول[2].

ونرى أنه مع متابعة العلم للكون وما فيه من مخلوقات ودقة في الصنع من قلة العقل أن ينكر أحد أنه يوجد من أحسن صنع هذا الكون وأحكم خلقه.

---

(1) تفسير ابي السعود 5-137

(2) تفسير الخازن 2-31

سورة الحديد آية رقم 28

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

نداء من الله سبحانه وتعالى للذين صدقوا من أهل الكتابين بالله يأمرهم فيه بتقواه وخوفه والايمان برسوله محمد ﷺ فإن أنتم فعلتم ذلك ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ يعطيكم على ذلك الايمان أجركم مرتين فمرة إيمانكم بعيسى ومن قبله من الرسل عليهم السلام، ومرة بتقواكم وإيمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام، أي كما أعطى من أمن بمحمد وجميع رسله.

وما ذلك النداء من الله سبحانه وتعالى إلا لحث اليهود والنصارى على الإسراع في التوبة والطمع فيما عند الله من الأجر العظيم، والنفس عزيز عليها أن تنتقل من شرع الى شرع، كيف لا وهو أمر الله وحكمه، له ما في السماوات والأرض، متصرف بها له الحق في تبديل الشرائع والتصرف بها كيف يشاءَ.

ومن أراد غير هذا فلا أجر له وعمله مردود عليه لأنه عمل بغير ما أراد الله، والله أمره بالأخذ بأخر الشروع والمناهج التي أنزلها على رسوله محمد ﷺ ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن رسول الله ﷺ قال: مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوماً يعملون له عملاً يوماً الى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجركَ الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبو وتركوا – فهؤلاء اليهود – واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية

يومكم ولكم الذي اشترطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي عملت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم فإنما بقي من النهار يسير فأبوا – فهؤلاء النصارى – فاستأجر قوماً يعملوا له بقيمة يومهم، فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين كليهما – فهؤلاء المسلمين – فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور.

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ وجعل القرآن هدىً تأتمرون بأمره وتنتهون بنهيه – وسماه نوراً لأنه يستضاء به في كل ما غم عليهم من أمر الدنيا والآخرة ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إن ذلك الإيمان سبباً للمغفرة لكم وهو سبحانه غفور رحيم.

سورة الحديد آية رقم 29

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

لأن يعلم أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنهم غير قادرين على تفضيل أنفسهم على الشعوب ولا على غير أنفسهم من الأمم وأن الفضل بيد الله سبحانه يؤتيه لمن يستحقه، فيؤتي الرسالة لمن يستحقها ويمنعها عمن لا يستحقها، ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ والله واسع الفضل والإحسان.

سورة التغابن. آية رقم 7

قَالَ تَعَالَى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عن الكفار الملحدين زعمهم انهم لن يبعثوا وأنه لن يكون أخره ولن يكون حساب ولا بعث بعد الموت أبداً ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ قل لهم يا محمد: بل ستبعثون وأقسم بالله أنكم ستبعثون من قبوركم أحياءً ثم لتُخبرن بكل عمل قدمتموه مهما كان صغيراً.

وفي سورة يونس يقسم بربه على وقوع البعث والنشور للكافرين المنكرين له فيقول سبحانه ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

ويستخبرونك يا محمد فيسألون أحق ما وعدتنا به من البعث والنشور والحساب قل نعم وربي إنه لكائن ولن تعجزوا الله بهرب أو امتناع من العذاب.

وفي سورة سبأ أيضاً يقسم بربه على وقوع البعث فيقول سبحانه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِۖ لَا

---

(1) سورة يونس آية رقم 53

﴿ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾[1]

وقال الكفار والمشركين لن يكون بعث ولا نشور ولا قيامة قل يا محمد أقسم بربي لتأتينكم الساعة فإنها لا محالة واقعة.

﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ أي وهذا الأمر لا يصعب على الله ولا يُستَعظم فهو سهل يسير عليه سبحانه.

سورة التغابن آية رقم 8

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾

فأمنوا بالله الواحد الأحد وبرسوله محمد نبياً مبعوثاً ورسولاً إلى بني البشر وبالقرآن الذي أنزلناه على رسولنا – وسماه نوراً لأنه يستضاءَ به في كل ما غم عليهم من أمور الدنيا والأخرة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ والله يعلم بما يجول في صدوركم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

سورة البقرة آية رقم 177

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ

(1) سورة سبأ آية رقم 3

عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

يرشد الله سبحانه وتعالى عباده الى ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة ويدعوهم الى طريق الإيمان الذي فيه نجاتهم يوم القيامة فيقول سبحانه ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ ليس أمر الدين مقصوراً في أن تقبلوا بوجوهكم قبل المشرق كما تفعل النصارى أو المغرب كما تفعل اليهود فليس هذا هو العمل الصالح وفعل الخيرات ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ ولكن الخير كل الخير الايمان بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبين – الكتاب هو اسم جنس يشتمل الكتب المنزلة من السماء – ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ وأعطى المال وهو محب له راغب فيه لذوي قرابته فهم أحق بالمعروف ﴿ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ومن مات أباؤهم صغار لا يقدرون على التكسب أي وأعطى المال أيضاً للمساكين الذين لا مال لهم، ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمه واللقمتان ولكن

المسكين الذي لا يجد غناً يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ﴿ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر المنقطع عن ماله.

﴿ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ ﴾ والذين يطلبون المعونة بدافع الحاجة، وتخليص الأسرى والرقيق إذا كاتبوا أسيادهم ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وأتى بجمع أركان الصلاة على الوجه الأكمل، وأعطى زكاة أمواله ﴿ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ ﴾ ومن يوفون بالعهود ولا ينقضونها ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ﴾ والصابرين في حال الفقر وحال المرض وحال القتال في سبيل الله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ إن من كانت تلك صفاتهم هم الذين صدقوا في ايمانهم وهم المتقون.

سورة البقرة آية رقم 285

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾

إخبار عن الرسول محمد ﷺ أنه أمن بالذي أنزل إليه من الأحكام المذكورة في القرآن الذي أنزل إليه والمراد إيمانه بذلك ايماناً تفصيلياً ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ كذلك المؤمنون أمنوا بما أمن به رسوله ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾

الجميع أمنوا بالله وبوحدانيته وبصفاته ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لايليق به من نحو الشريك في الألوهية والربوبية ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ وأمنوا بملائكته المعصومون المطهرون من الذنوب لا يعصون الله في أمر، يتوسطون بين الله ورسله بالوحي، وإنزال الكتب ﴿وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ وأمنوا بكتب الله ورسله ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾- ونؤمن بصحة رسالة كل واحدٍ منهم- فرسل الله كلهم متساوون في الرسالة، لا فرق بين رسول ورسول، وليس كما فعلت اليهود والنصاري فرقوا بين رسل الله فأمنوا ببعضهم، وكفروا ببعضهم ثم يقول سبحانه عن صفة المؤمنين ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾وقالوا أجبنا وقبلنا عن طوع ما دعوتنا إليه من الحق وتيقنا به وبصحته، ونسألك غفرانك لذنوبنا وإليك المرجع والمآب.

سورة النساء آية رقم 150

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾﴾

الآية تهديد ووعيد من الله سبحانه للكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى ومن حذا حذوهم فأمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم، فاليهود آمنوا ببعض الرسل وكفروا بعيسى وبمحمد عليهم السلام، والنصارى أمنوا

ببعض الرسل وكفروا بمحمد عليه السلام، فيقرر الله سبحانه وتعالى أن الايمان الصحيح هو الإيمان به وبجميع ما أمر سبحانه وليس بمن تابع هواه فآمن بالبعض وكفر بالبعض الآخر يقول سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ إن من يفرق بين رسول ورسول فقد كفر بالله وبجميع رسله من حيث لا يدري – وإنما كان كفراً لأن الله سبحانه وتعالى فرض على الناس ان يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل، فإذا جحدوا الرسل أو رسول وردوا عليه شرعه ولم يقبلوه، كانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بإلتزامها فكان كجحد الله نفسه، وجحد الله كفر لما فيه من ترك إلتزام الطاعة والعبودية، وكذلك التفريق بين رسله في الايمان كفر به[1] ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ ﴾ ويقولون نؤمن ببعض الأنبياء وننكر بعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ ويريدون اتخاذ طريق بين الإيمان والكفر يسلكونه – ولا طريق بينهم.

---

(1) القرطبي ج1 ص4

سورة النساء آية رقم 151

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ ﴾

إن من كانت تلك صفتهم فهم الكاملون في الكفر ولا جدوى من اتباعهم لغير شريعة الإسلام، فهم حقاً وبلا شك كافرون ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ ولهم عذاب يهينهم ويذلهم جزءاً كفرهم.

سورة النساء آية رقم 152

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ ﴾

والذين آمنوا بالله وبجميع رسله ولم يفرقوا بين رسول ورسول – ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ ﴾ أولئك سيعطيهم ثواب أعمالهم كاملة غير منقوصة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ إن الله غفور رحيم لمن آمن به وبرسله.

سورة النساء آية رقم 162

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾

يبين الله سبحانه وتعالى أن من اليهود من أمن بالله ورسخ في قلبه الإيمان – كعبد الله بن سلام وجماعة من اليهود آمنوا بالله ورسله وحسن إسلامهم فيقول سبحانه مبلغاً عنهم ﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ لكن من ثبت ورسخ عندهم العلم من اليهود ومن أمن برسالة محمد ﷺ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يؤمنون بالقرآن ويؤمنون بكل كتاب أنزله الله على انبيائه قبل مبعثك ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ ﴾ ومن يحافظون على صلاتهم – وهو على سبيل المدح لهم – ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ والمعطون الزكاة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾ والمؤمنون أن الله واحد في الوهيته يبعث الناس بعد موتهم ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ إن من كانت تلك صفتهم سنعطيهم ثواباً على طاعتهم وهو أجر عظيم لا ينقطع ولا يزول.

سورة الإسراء آية رقم 105

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

إن هذا القرآن نزل من عند الله بالحق الذي لا ريب ولا شكَ، فيه حكم ومواعظ وامثال وقصص نزلت من عند الله بالحق لا لعب ولا استهزاءَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وما أرسلناكَ يا رسول الله إلا لتبشر بالجنة من أطاعكَ وأهتدى بهديكَ وتنذر من عصاكَ بالنار – فمن أطاع الرسول فكأنما أطاع الله ومن عصى الرسول فقد عصى الله.

سورة الإسراء آية رقم 106

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

وقرآناً نَزَّلناه إليكَ يا رسول الله مفرقاً – فقد نزل القرآن على رسول الله مفرقاً منجماً بحسب الوقائع عبر ثلاث وعشرين سنة – لتقرأه على الناس بتمهل وتمعن حتى يفهموا أسراره ويستوعبوا معانيه ومقاصده ويسهل حفظه ﴿ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾ نزلناه شيئاً فشيئاً – أي لم يكن تنزيله دفعةً واحدة فيصعب حفظه وإتباع تعاليمه.

سورة الإسراء 107

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

قل يا محمد لهؤلاء المشركين والكفار ممن جحدوا وأنكروا نزول هذا القرآن عليكَ آمنوا بهذا القرآن أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لا يزيده كمالاً، وإن تكذيبكم به لا يؤرثه نقصاً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ إن من أوتيَ العلم قبل هذا القرآن – وهم العلماء الصالحين الذي كانوا يقرأون الكتب السماوية السالفة – إذا سمعوا القرآن تأثروا به فخروا ساجدين لرب العالمين.

سورة الاسراء آية رقم 108

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

ويقولون ننزه الله عن كل نقص وعيب وعن إخلاف وعده، فإن وعد الله لآتٍ لا محاله.

سورة الاسراء آية رقم 109

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾

وعند إستماعهم لقراءة القرآن يخرون على وجوههم سجداً باكين حتى تصل أذقانهم إلى الأرض ويزيدهم خشوعاً وتواضعاً.

سورة النمل آية رقم 76

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

إن هذا القرآن المنزل من عند الله يخبر بني إسرائيل ويقص عليهم كثيراً مما هم فيه يختلفون واختلاف بني إسرائيل لا حصر له، ومن جملة اختلافهم في أمر المسيح عليه السلام، تفرقهم شيعاً وأحزاباً كلٌ له قول حتى لعن بعضهم بعضاً فالقرآن جاءَ من عند الله ليبت في أمر المسيح ويأتي بالخبر القاطع.

سورة النمل آية رقم 77

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

وإن هذا القرآن العظيم هدى لمن تبعه ورحمة للمؤمنين من العذاب وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به.[1]

سورة النمل آية رقم 78

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾

إن ربكَ يا محمد يقضي بين بني إسرائيل يوم القيامة بحكمه العادل فهو قوي لا يمتنع عنه شيء عليم بهم لا يخفى عليه منهم شيء.

---

(1) القرطبي 13/ 231

سورة النمل آية رقم 79

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾

إعتمد على الله في أمرك يا محمد يا رسول الله ولا تتوانا فإنك على الدين الحق الصحيح فإن الله معك وناصركَ.

سورة النمل آية رقم 80

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

إنك يا محمد يا رسول الله مهما كلمت الموتى ودعوتهم إلى الإيمان لا يؤَمنون لأنهم موتى وكذلك الأصم كيف تدعوه وهو لا يسمع فكيف إذا أدبر بظهره ولم يلتفت إليك بالكُلّيّةُ وهذا تمثيل لأحوال الكفار الذين تولو عن دين الله وعن رسوله أي هم بين أمرين إما ميت تماماً لا يستجيب ولا يفهم وإما به صم وتولي عن الحق فهم صم عمي لا يفهمون ولا يسمعون ولا يبصرون.

سورة النمل آية رقم 81

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

وما أنت يا محمد يا رسول الله بالذي يستطيع أن يصرف عُمْيَ قلوبهم عن كفرهم وضلالهم إلى الإيمان فإن الذين يسمعون ويستجيبون لدعوتكَ هم أهل الإيمان الذين أسلموا لله رب العالمين.

سورة آل عمران آية رقم 193

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾

تَوَسل ودعاءَ من المؤمنين الصادقين يقولون فيه ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾ ربنا إننا سمعنا من يدعوا إلى الايمان وهو رسول الهدى محمد - ﷺ - ﴿ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾ يقول يا أيها الناس أمنوا بربكم الواحد الأحد فاتبعناه وصدقناه وأمنا به وبرسالته ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ ربنا أستر عيوبنا واغفر ذنوبنا ﴿ وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا ﴾ وتجاوز عن سيئاتنا وأمحها بفضلك ورحمتك ﴿ وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ وأمتنا مع الأبرار والحقنا بهم آمين آمينَ يا أرحم الراحمين.

وقد أتفق المسلمون على ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ما أنزل الله من كتب فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسى وداوود وسليمان ويونس وعيسى ومحمد وجميع رسل الله فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكافر، وإن كان مرتداً استتاب فإن لم يتب وإلا قتل، ومن سب نبياً واحداً من الأنبياء قتل أيضاً بإتفاق المسلمين وما علم أن نبياً من الأنبياء أخبر به فعليهم التصديق به كما يصدقون بما أخبر به محمد - ﷺ - وهم يعلمون أن اخبار الأنبياء لا تتناقض ولا تختلف، وما لم يعلموا أن النبي أخبر به فهو كما

لم يعلموا أن محمداً أخبر به – صلى الله عليهم أجمعين ولكن يكذبون إلا بما علموا أنه كذب. كما لا يجوز أن يصدقوا إلا بما علموا أنه صدق وما لم يعلموا أنه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوه، كما أمرهم به نبيهم محمد ﷺ وبهذا أمرهم المسيح عليه السلام فقال: الأمور ثلاثة، أمر تبين صدقه فاتبعوه، وأمر تبين كذبه فاجتنبوه، وأمر اشتبه عليكم فوكلوه إلى عالمه.

فركن الإيمان مشتركَ الذي هو عماد دين جميع الأنبياء والمرسلين فتلك الآيات تبين كنه هذا الدين، أنه التوجه إلى الله سبحانه وتعالى في خضوع خالص لا يشوبه شرك وهو الإيمان بما جاء على لسان رسله جميعاً لا فرق بين رسول ورسول، لا من زمن إلى زمن ولا من مكان إلى مكان دون تمييز شخصي أو طائفي، أو عنصري، بين كتاب وكتاب أو رسول ورسول.

تم بحمد الله وعونه الباب الأول "وهو طريق الإيمان وأركانه" نسأله عز وجل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهة الكريم أنه نعم المولى ونعم المجيب.

الباب الثاني

مقتطفات من العقيدة الواسطية

للإمام ابن تيمية رحمه الله

الباب الثاني

مقتطفات من العقيدة الواسطية للامام ابن تيمية رحمه الله

ربما يسأل سائل، عن سبب وجود هذا الباب باب العقيده الواسطية في هذا الكتاب الذي يتكلم عن عيسى عليه السلام.

إعلم أيها القرائ الكريم أن اليهود والنصارى والمسلمون في تفاوت كبير في فهم صفه الله عز وجل.

فمن اليهود مثلاً يتصورون ان الله عز وجل له أرجل كارجل البشر وعينين ويدين في قصه خرافة العشاء الرباني وكيف تصارع الرب مع يعقوب عليه السلام وبقية القصة العجيبه، ومن النصارى من يعتقد ان الله هو نفسه المسيح ويجدونه كالانسان ويعلقون له الصور والتماثيل ويقفون أمامه ويدعونه ومنهم من يعتقد أنه ثالث ثلاثة الأب هو الله والابن هو المسيح وروح القدس جبريل ثلاثة في واحد، وواحد في ثلاثة ما يسمونه بالأقانيم الثلاثه، ومنهم من يعتقد اعتقادات مستمده من الفلسفات الاغريقية واليونانية القديمة لانستطيع حصرها في هذا المكان ولحن لسنا بصدد حصرها، ومن المسلمين من اذا سألته هل لله يد أو هل لله ساق أو هل له عينين – اوهل لله سمع أو هل لله نفْس، فإني اعتقد أن كثيراً من المسلمين لا يستطيعون الاجابة على هذه الأسئلة، لذلك وضعنا هذا الباب في هذا المكان ليكون عوناً لنا في فهم باقي الكتاب والله المعين ولله الحمد والمنة.

هذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفات الله بصفات خلقه سبحانه وتعالى، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفو له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (سورة الصافات) فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل في هذا ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾[1]

فصل

فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول ﷺ به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها، كذلك مثل قوله ﷺ ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له – متفق عليه – وقوله ﷺ يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الأخر كلاهما يدخل الجنة – متفق عليه – وقوله عجب ربنا جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزةِ فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فتزوي بعضها إلى بعض فتقول قط – متفق عليه – وقوله عليه السلام يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيكَ وسعديكَ فينادي بصوت إن الله يامركَ أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار – متفق عليه – وقوله ﷺ للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة رواه مسلم – وقوله إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه فإن الله قبل وجهه ولكن عن يساره أو تحت قدمه – متفق عليه – وقوله اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء خالق الحبُّ والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر نفسي ومن كل

---

(1) سورة الاخلاص.

دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلكَ شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقضي عني الدين واغنني من الفقر – رواه مسلم – وقوله لما رفع اصحابه أصواتهم بالذكر " أيها الناس إربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته – متفق عليه – وقوله " انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته- المقصود يوم القيامة، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا – متفق عليه و أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الحديد 4) وليس معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف هذه الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله فهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه – من أنه فوق العرش وأنه معنا – حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولا يظن أن ظاهر قوله " في السماء" أن

السماء تقله أو تظله فهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض وهو الذي يمسكَ السماوات والأرض أن تزولا ويمسكَ الأرض أن تقع إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بإذنه.

وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب كما جمع بين ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] وقوله ﷺ إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومشيئته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو عليٌّ في دنوه قريب في علوه.

فصل

ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدأ لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف.

---

(1) سورة البقرة آية رقم 186

فصل

وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان بـه وبكتبـه وبملائكتـه وبرسـله الايمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامـة عيانـاً بأبصـارهم كمـا يـرون الشـمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضـامون في رؤيتـه يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى.

فصل

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعـد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه.

فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل " مـن ربـك، ومـا دينك، ومن نبيك فيثبت الله الذين آمنوا بـالقول الثابـت في الحيـاة الـدنيا وفي الآخرة فيقول المؤمن الله ربي والإسلام ديني ومحمد ﷺ نبيي.

وأما المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلتـه فيضربُ بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شـيء إلا الإنسـان ولـو سمعها الإنسان لصعق – ثم – بعد هذه الفتنة إمـا نعـيم وأمـا عـذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى.

فتعاد الأرواح إلى الأموات وتقوم القيامـة الـتي أخـبر الله بهـا في كتابـه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم النـاس مـن قبـورهم لـرب العالمين حفاة عراة وتدنو منهم الشمس ويلجمهـم العـرق وتُنصَـبُ المـوازين فتوزن فيها أعمال العبـاد ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]
وتنشر الدواويت – وهي صحائف الأعمال – فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾[2] ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة.

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حساب لهم، وفي عرصة القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ مائه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر وعرضه شهر من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا.

والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كراكب الإبل، ومنهم من يعدو عدواً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحفُ زحفاً، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم.

فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط دخل الجنة فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصون من بعض فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة.

---

(1) سورة المؤمنون آية رقم102-103

(2) سورة الاسراء آية رقم 13

وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته وله ﷺ ثلاث شفاعات:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن إستحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيشفع فيمن استحق النار ألا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها فيخرجه منها وهذه خاصة بعصاة المسلمين ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشؤُ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة. واصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذاك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده.

وتؤمن الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة – بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين.

فالدرجة الأولى: بأن الله تعالى عالم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والأجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له أكتب قال ما أكتب. قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب

الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطئه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾(سورة الحج70) وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحديد 22) .

وهذا القدر النابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملةً وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاءَ وإذا خُلق جسد الجنين بُعِثَ إليه ملكاً فَيَنْفُخُ الروح فيه ويؤمرَ بأربع كلمات فيقال له. أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه. لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه ما من شيء في السماء إلا الله خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم،

والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أفعالهم ولهم إرادةَ والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم.

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي مجوس هذه الأمة، ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

فصل

ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحشر10) وطاعة النبي ﷺ في قوله " لا تسبوا أصحابي فوا الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه" ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم.

ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل وهو صلح الحديبية على من أنفق من بعده وقاتل ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر " أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي محمد ﷺ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم.

فصل

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة إتّباع أثر رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والانصار، وإتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وأياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة" ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخيار الناس، ويقدمون هدىً محمد ﷺ على هدّي أي أحد، ولهذا سمّو أهل الكتاب والسنة وسموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الإجتماع، وضده الفرقة وإن كان لفظ الجماعة صار إسماً لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين.

والإجماع جميع ما عليه الناس مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، وبعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

فصل

ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً، ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصحية للأمة ويعتقدون معنى قوله ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً

وشبّك بين أصابعه وقوله ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر".

ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضاء بمر القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله ﷺ "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً" ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين، وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والإستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها.

وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متّبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه أنه قال "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي" صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص من الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة".

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه جرى على لسان عيسى عليه السلام قوله ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ المائدة 116وربما يسأل سائل وهل لله نفس وكيف تكون نفسه أهي مثل أنفس البشر؟

الجواب: أثبت الله سبحانه وتعالى أن له نفساً في أكثر من موضع من مواضع القرآن فقال جل ثناؤه﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٢ وقال سبحانه﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ ﴾ طه. ٤١ وقال تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴿٢٨﴾ ﴾ آل عمران: ٢٨ ومن السنة قول الرسول في التسبيح "سبحانه الله عدد خلقه ورضى نفسه" ومن " وقوله عليه السلام "ليس أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل ولأجل ذلك مدح نفسه"[1].

ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله. بما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث.

وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله. فكما نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية، فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة. وأنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه.

---

(1) الألوسي. ج7، ص67

وممتنع عن الحدوث لامتناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، ولوجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى.

وطريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وأن الله بائن من خلقه والخلق بائِنون منه. لايحل فيهم ولا يمتزج بهم. وهو مستوٍ على عرشه في سمائه من دون أرضه وخلقه.

وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والإستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، وأنه عز وجل بائن من خلقه. والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجه ولا اختلاط ولا ملاصقة، لأنه الفرد البائن من الخلق. الواحد الغني عن الخلق، وأن الله عز وجل سميع بصير عليم، خبير، يتكلم ويرضى، ويسخط ويضحك، ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكاً. وينزل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا كيف شاء فيقول هل من داعٍ فاستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له. هل من تائب فأتوب عليه، حتى يطلع الفجر.

ونزول الرب إلى السماء الدنيا بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال.

وقال المسلمون: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة: فقال رسول الله ﷺ هل تضارّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا: لا. قال: هل تضارّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونها سحاب، قالوا: لا. قال: فإنكم ترون ربكم يومئذٍ كذلك.

ومذهب السلف بين التعطيل وبين التمثيل فلا يمثلون صفات الله

بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه. ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله. فيعطلون أسماؤه الحسنى وصفاته العليا. أو يحرفون الكلم عن مواضعه. أو يلحدون في أسمائه وآياته[1].

(1) مجموع الرسائل الكبرى لأبن تيمية بالتصرف

الــبــاب الثــالــث

الحنيفية السمحة

دين الحق الذي لا يقبل الله سواه

الباب الثالث

الحنيفية السمحة

دين الحق الذي لا يقبل الله سواه

دين الله هو الاسلام ولا يقبل الله سواه، وعلماء أهل الكتاب يعلمون هذا تماماً، كما أخبر الله عز وجل عنهم، فمن دان بغير هذا الدين فهو مخلد في نار جهنم، لأنه عمل بغير ما أراد الله، وهو دين إبراهيم خليل الله، حنيفاً مائلاً عن جميع الأديان الفاسدة إلى الإسلام والطريق الصحيح، وهو دين محمد ﷺ، ودين جميع الأنبياء والرسل كما سيأتي معنا في الباب الرابع إن شاء الله، فإما توحيد الله سبحانه والإسلام وإما الشرك به وليس هناك طريق آخر، وبهذا أمرهم رسلهم وليس غيره، وأمرهم رسلهم بأن يخُلصوا إسلامهم وعملهم ونياتهم لله سبحانه وأن يقيموا الصلاة ويؤُتوا الزكاة، ولا يكرهون أحد على الدخول في هذا الدين، فبعد مجيء رسول الهدى محمد ﷺ وضح الحق وظهر وبان الرشد من الغي، مع الوصية للمسلمين بأن يشفقوا على أهل الشرك وينصحونهم بالحسنى. نفتتح بقوله تعالى:-

سورة آل عمران آية رقم 19

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾

إن الدين الذي يرضاه الله لعبادة هو دين الإسلام ولا يقبل لهم ديناً سواه – أي أن لا دين عند الله يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى خُتموا بمحمد – ﷺ – الذي سد جميع الطرق إلا من جهة محمد – ﷺ – فمن لقي الله بعد بعثة محمد – ﷺ – بدين غير دينه فليس بمتقبل[1] ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ وما اختلف اليهود والنصارى في أمر الإسلام ونبوة محمد – ﷺ – إلا بعد أن علموا بالحجج النيرة والآيات الباهرة حقيقة الأمر، فلم يكن كفرهم عن شبهة وخفاءَ وإنما كان عن استكبار وعناد، فكانوا ممن ضلوا على علم، حسداً بينهم حَمَلَهمْ عليه حب الرئاسة[2] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ثم يتوعد الله سبحانه وتعالى من كفر بآيات القرآن بأنه سيصير إليه سريعاً فيجازيه على كفره.

---

(1) ابن كثير 1/ 354.

(2) صفوة التفاسير 1/ 191.

سورة آل عمران آية رقم 83

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

أيريد أهل الكتاب ديناً غير دين الإسلام الذي أرسلت به جميع الأنبياء ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ ولله استسلم من على وجه الأرض من المخلوقات ومن السماوات طائعين ومكرهين، فالمؤمن مسلم إلى الله طوعاً والكافر مستسلم إلى أمر الله تحت القهر والسلطان العظيم الذي لا يخالف ولا يمانع[1]، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ وإليه سبحانه وتعالى مرجعهم ومآبهم رغماً عنهم، فيجازي كلاً بعمله.

سورة آل عمران آية رقم 85

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

ومن أراد ديناً غير دين الإسلام وشريعة غير الشريعة المحمدية بعد بعثته عليه السلام ليدين بها فلن يقبل منه، ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ وهو يوم القيامة لا أجر له وخسر كل شيء لأنه عمل بغير ما أراد الله واتبع ديناً غير دين الإسلام وشريعة غير شريعة محمد - ﷺ - فعمله مردود عليه.

---

(1) تفسير ابن كثير 1/ 378.

قال رسول الله ﷺ "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد" (حديث صحيح).

سورة النساء آية رقم 125

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

ولا يوجد ديناً أحسن من دين الله – وهو الإسلام – وأمتثل لأمر الله سبحانه وتعالى وشرعه وأخلص عمله لله وَهُوَ مُحْسِنٌ وهو مطيع لله مؤتمر بأوامره مجتنب لنواهيه كأنه يراه ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ واتبع دين إبراهيم عليه السلام مائلا عن كل الأديان الفاسدة إلى الدين الحق السوي المستقيم وهو دين الإسلام.

كأنه شبه الأديان الفاسدة متمثلة في مئات بل ألاف الأديان تسير في خط واحد وفي طريق واحد خاطئة، ودين الإسلام مال وأنحرف عن كل تلك الأديان الفاسدة ليسير في الاتجاه الصحيح المستقيم الذي أمر به الله ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ واصطفى الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بالخلة والمحبة – وهذا من باب الترغيب في اتباعه عليه السلام لأنه إمام يقتدى به حيث وصل إلى غاية ما يتقرب به إلى الله وهي الخلة والمحبة والسير على دين الإسلام.

سورة الأنعام آية رقم 161

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ ﴾

قل يا محمد للناس كافة وللمكذبين خاصة أن ربي هداني وجعلني على الطريق الصحيح المستقيم والدين القويم ﴿ دِينٗا قِيَمٗا ﴾ ديناً مستقيماً صحيحاً لا عوج فيه ﴿ مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ ديناً هدى الله له إبراهيم خليله كما هداكَ أنت يا محمد إلى هذا الدين والملة المائلة عن باقي الملل الضالة الفاسدة إلى الدين الصحيح وهو الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ وما كان إبراهيم مشركاً.

ومن مدلولات الآية أن كل دين غير دين الإسلام فهو من الشرك.

ذكر الشرك في مقابلة الدين ليدل على أن مقابل الشرك هو التوحيد والمراد بلفظ الملة إنما هو أصول التوحيد وإجلال الله تعالى بالعبادة دون الفروع الشرعية.

سورة الروم آية رقم 30

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾

يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ بقوله ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًاۚ ﴾اجعل كل همكَ الإخلاص لدين الإسلام والتفاني لـه لأنـه الـدين الحق المائل عن كل الأديان الباطلة – إلى الـدين الصـحيح ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ ﴾ خِلقة الله التي خلق الناس عليها وهو توحيده سبحانه، ففي الحديث "كل مولـود يولـد علـى الفطـرة فـأبواه يهودانـه أو ينصـرانه أو يمجسانه"[1].

﴿لا تَبْديلَ لِخَلْقِ الله﴾ لا تبدلوا خلق الله فتغيروا الناس عن فطـرتهم التي فطرهم الله عليها[2] ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ فإن دين الإسلام الذي يأمر الناس بتوحيد الله هو الـدين المستقيم الصـحيح ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ولكن أكثر الناس جهلة يبتعدون عن التوحيد وديـن الإسلام ويريدون غيره.

أي أنه لو ترك طفل في غابة ليس معه أحد حتـى شـب وترعـرع لدلتـه فطرته أن لهذا الكون خالقاً واحداً لا إله غيره.

---

(1) رواه الشيخان

(2) زاد المسير 6/ 302

سورة البينة آية رقم 5

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾

أي والحال أنه ما أمرتهم رسلهم إلا بعبادة الله وحده وأمروا في التوراة والإنجيل والقرآن بأن يخلصوا العبادة لله ﴿ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ أي لله الدين الحق ولم يبعث رسولاً من الرسل إلا دعا لهذا الدين – وهو دين الإسلام – تاركين كل الأديان الفاسدة مائلين لدين الإسلام ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وأمروا بإقامة الصلاة على الوجه الأكمل وإيتاء الزكاة لمستحقيها ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ وذلك المذكور من عبادة الله وحده، والإخلاص له فيها، والسير على الدين الإسلامي الحنيف، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، هو دين الإسلام والدين الصحيح.

سورة البقرة آية رقم 256

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾

أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام – والمقصود أن رسول الله – ﷺ – لم يجبر أحداً ولم يكرهه على الدخول في دين الإسلام البته، وإنما دخل الناس في دين الله طوعاً وهم أكثر أهل الأرض، ومنهم أهل اليمن

الذين كانوا على دين اليهودية، ومن أسلم من يهود المدينة، ونصارى الشام، وكانت أهل الشام أكثرهم نصارى، وكذلك المجوس أسلم أكثرهم ولم يتخلف منهم أحد، ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ فقد وضح الحق وبان الرشد من الغي، ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ فمن كفر بكل ما يعبد من دون الله واستمسك بالإسلام وترك أمر الشيطان وجميع الأديان الفاسدة وآمن بالله ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ فقد تمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قويةً وربطها شديد[1]، ﴿ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ ﴾ لاإنقطاع لها ولا زوال ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ والله سميع لأقوال العباد عليهم بأفعالهم.

فالإسلام ليس عنيفاً ولا متعطشاً للدماءَ، ولايفرض نفسه فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية، فهي محاولة فاشلة، ومخالفة لسنة الوجود ولإرادة الله ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[2] ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3] ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ

---

(1) ابن كثير 1/ 311

(2) هود 118

(3) يوسف 103

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[1] ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2] ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[3]

وإن الإسلام يوصينا بالمشركين خيراً الذين هم أبعد الناس عن الإسلام فيقول تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴿٦﴾ ﴾ فلم يقل أقتله إذا هو لم يسلم.

فإن الله سبحانه وتعالى لما بعث محمداً ﷺ رسولاً إلى أهل الأرض كانوا خمسة أصناف: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئة، ومشركون.

فأما اليهود: فأكثر ما كانوا اليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بإطراف الشام مُستَذَلِّين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس فرقة مستذلة مع المجوس، وكان منهم بأرض العرب فرقة، وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر، وكان سبحانه قد قَطَّعَهم في الأرض أمما وسلبهم المُلك والعِزّ.

وأما النصارى فكانوا أكثر أهل الأرض، فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى، وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيره والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد.

---

(1) يونس 99

(2) القصص 56

(3) النحل 125

وأما المجوس: فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها.

وأما الصابئة: فأهل حران وكثير من بلاد الروم.

وأما المشركون: فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال. الأديان ستة واحد للرحمان وخمسة للشيطان وهذه الأديان الستة مذكورة في قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[1] فذكر الدين الإسلامي الحنفي هو الدين الرحماني.

فلما بعث الله رسوله محمد – ﷺ – استجاب له ولخلفائه أكثر الناس طوعاً واختياراً، ولم يكره أحداً على الدين، وإنما كان يقاتل من قاتله، وأما من سالمه وهادنه لم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه.

فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى وأنه رسول الله حقاً.

فهؤلاءِ أهل اليمن كانوا على اليهودية أو أكثرهم، دخلوا في الإسلام من غير رهبة ولا خوف، وكذلك من أسلم من يهود المدينة وهم جماعة كثيرون غير عبد الله بن سلام مذكورون في كتب السيرة والمغازي لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف بل أسلموا في حال حاجة، المسلمين وكثرة

---

(1) سورة الحج17

أعدائهم ومحاربة أهل الأرض لهم، فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته من أجل الإسلام.

ثم هؤلاء نصارى الشام كانوا ملئ الشام ثم صاروا مسلمين إلا النادر.

وكذلك المجوس كانت أمة لا يحصى عددهم إلا الله أطبقوا على الإسلام ولم يتخلف منهم إلا النادر، وصارت بلادهم بلاد إسلام.

الباب الرابع

الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

الباب الرابع

الإسلام دين جميع الأنبياء والرسل

الحمد لله رب العالمين.... والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد: بعد أن تبجح اليهود والنصارى بقولهم أنه لن يدخل الجنة إلا يهودي أو نصراني أنزل الله عز وجل الآية القادمة التي بين الله بها أن من أسلم له سبحانه وأخلص عمله له فهو من يدخل الجنة ولو كان يهودياً أو نصرانياً بشرط الإسلام لله سبحانه وهو الإيمان بجميع رسله وكتبه واليوم الآخر فالإسلام ليس مقصوراً على جماعة دون جماعة أو شعب دون شعب ثم بيَّن الله سبحانه وتعالى أن دين إبراهيم عليه السلام الذي ينتمي إليه أبناؤه إسماعيل وإسحاق وابن اسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعاً كان دين الإسلام ثم بيَّن الله سبحانه في الآيات كيف وصى يعقوب أبناؤه بألا يموتوا إلا على دين الإسلام.

ثم يخاطب الله سبحانه رسوله محمداً ﷺ بأنه إذا حاجك اليهود والنصارى فقل بأنك على دين الإسلام، فإن تبعوا شرعك فقد أصابوا الحق وإن تولوا فإنما أنت مبلغ وحسابهم على الله فلا يحزنك تكذيبهم لكَ فإنهم منافقون إذا قالوا أنهم مسلمون ولم يتبعوا شرعك ودين الإسلام، ثم بين الله سبحانه وتعالى أن الحواريين أيضاً كانوا على دين الإسلام، ثم أجمل الله عز وجل في الآية التي تليها أن جميع الأنبياء والرسل كانوا على دين الإسلام

وحكموا به الناس وأن من لم يحكم بشرع الله ودينه فهو كافر فاسق ظالم ثم ذكر الله سبحانه قصة عيسى مع الحواريين وبين أنهم كانوا مسلمين ثم ذكر إبراهيم عليه السلام أنه ما كان يهودياً ولا نصرانياً بل كان مسلماً موحداً لله سبحانه ولم يكن مشركاً – وهذا مما يدل على أن كل دين غير دين الإسلام فهو من الشرك – ثم ذكر الله سبحانه قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وسحرته الذين أسلموا لله بعد أن تبين لهم الحق من ربهم ثم ذكر الله سبحانه نوحاً عليه السلام وأن الله أمره أن يكون من المسلمين ثم ذكر الله سبحانه يوسف عليه السلام ودعاءه عليه السلام بأن يموت على دين الإسلام وهذا مما يدل على أن سيدنا يوسف عليه السلام كان معتنقاً لدين الإسلام، ثم ذكر ربنا سبحانه وتعالى داوود وابنه سليمان النبيين العظيمين وقصة سليمان عليه السلام مع الملكة بلقيس وكيف أسلمت مع سليمان لله رب العالمين ثم بين الله سبحانه أن من اهتدى فلنفسه وأن من ضل فعليها،نسأله سبحانه حسن الخاتمة وأن نموت على دين الإسلام أنه سميع مجيب الدعاء فدين الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل ودين من تبعهم في وقتهم فإذا جاء النبي الذي بعده وجب اتباع النبي الذي جاء وإلا فهو كافر ضال.

نستفتح بالذي هو خير قوله سبحانه:

سورة البقرة آية رقم 111

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾

قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً فرد الله سبحانه عليهم بقوله ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾ تلك خيالات وأماني وأحلام تراود عقولهم وتفكيرهم ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى هاتوا أدلتكم وحججكم الساطعة على قولكم هذا إن كنتم صادقين في دعواكم.

سورة البقرة آية رقم 112

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) ﴾

بل يدخل الجنة من أسلم لله وأخلص عمله له ﴿ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ وهو مسلم مصدق بما جاء به محمد - ﷺ - ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ فله ثواب عمله عند الله لا يبخس منه شيئاً ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ولا يعتريهم خوف من أهوال يوم القيامة وهم في نعيم مقيم لا موت فيه.

سورة البقرة آية رقم 127

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

وأذكر يا محمد الرسولين العظيمين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وهما يرفعان قواعد البيت – بيت الله العتيق في مكه المكرمة وهي الكعبة المشرفة – وهما يدعوان الله عز وجل بخضوع وإجلال ويقولان ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة127) ربنا تقبل منا عملنا هذا فإنك أنت السميع لدعائنا العليم بنياتنا.

روي عن وهيب ابن الورد أنه لما قرأ هذه الآية بكى وقال: خليل الله ترفع قواعد بيت الرحمان وأنت مشفق أن لا يتقبل منك.

وهذا كما قال الله عز وجل عن حال المؤمنين المخلصين في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1] الذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل منهم.

---

(1) سورة الحج17

سورة البقرة آية رقم 128

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾

ربنا واجعلنا مسلمين لك واجعلنا خاضعين لحكمك منقادين لطاعتك ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ واجعل من ذريتنا أمة تسلم لك وتنقاد لطاعتك وتخضع لحكمك ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ وعلمنا مناسك حجنا وشرائع ديننا، أما شريعة إبراهيم عليه السلام فقد اندثرت معالمها ومحيت تعاليمها تماماً فلم يبق منها إلا التوحيد الخالص الذي أخبر عنه القرآن، فقد كان إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً موحداً وأمر أتباعه بتوحيد الله وإفراده بالعبودية ﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وتب علينا فإنك تواب لمن تاب رحيم لمن رجع عن خطيئته غفور رحيم.

سورة البقرة آية رقم 129

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾

ربنا وأبعث في هذه الأمة المسلمة رسولاً منهم وهو رسول الهدى محمد ﷺ - ﴿ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ يقرأ عليهم آيات القرآن الكريم ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ويعلمهم أحكام القرآن وشارحته السنة الطاهرة

﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ويطهرهم وينقي نفوسهم بتوحيد الله والبعد عن الشرك به ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إنك أنت القوي الذي لا يغلب الحكيم في أفعاله فاستجاب الله لدعائهما ببعثة رسوله محمد ﷺ.

سورة البقرة آية رقم 130

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

ومن أراد ديناً غير دين الإسلام وهو ملة إبراهيم – عليه السلام – ورغب عن هذه الملة الغراء ﴿ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ إلا من احتقر نفسه وسفهها واستخف بها وامتهنها ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ولقد اصطفينا إبراهيم – عليه السلام – في الدنيا بالرسالة وبالحجة وبالإمامة وبالنبوة وبكل شيء حسن ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾وهو عندنا يوم القيامة من المقربين له الدرجات العلى من الجنة ﴿ وَمَن يَرْغَبُ ﴾ استفهام يراد به الإنكار والتقريع وقع معنى النفي أي لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا السفيه، والجملة واردة مورد التوبيخ للكافرين.[1]

(1) صفوة التفاسير 1/ 97

سورة البقرة رقم 131

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

إذ أمره ربه جل وعلا بقول ﴿ أَسْلِمْ ﴾ فقال إبراهيم عليه السلام دون إبطاء أو تلعثم ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ استسلمت لأمر الله وخضعت لرب العالمين.

سورة البقرة رقم 132

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

ووصى إبراهيم أولاده يعقوب عليهم السلام بهذه الوصية بقوله لهم ﴿ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ يا بني إن الله اختار لكم الإسلام ديناً فلا تموتوا إلا وأنتم متمسكون به مسلمون لله رب العالمين.

سورة البقرة آية رقم 133

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

أم كنتم حاضرين عند إحتضاء يعقوب عليه السلام وإشرافه على الموت وأراد أن يطمئن على دين أولاده فجمعهم ووصاهم بإتباع ملة أبيه إبراهيم عليه السلام ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ إذ قال لأولاده أي شيء تعبدونه من بعدي- أي بعد موته عليه السلام- وبأي دين تدينون – وذلك لشدة حرصه على أن يكون أبناؤه مسلمين حنفاء على ملة إبراهيم عليه السلام ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ قالوا لا نعبد إلا إلهًا واحداً هو الله رب العالمين، إلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسٰحق إلها واحداً لا شريك له ولا ولد ولا صاحبه ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ونحن منقادون مستسلمون مسلمون لأمر الله مخلصون له موحدون.

سورة البقرة آية رقم 134

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)﴾

تلك أمة قد مضت من آبائكم من الأنبياء والصالحين – أي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب – لا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا خيراً

يعود نفعه عليكم فإن لهم أعمالهم الخيرة التي عملوها ولكم أعمالكم[1] ولهذا جاء في الأثر "ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"

يتبين من الآيات السابقة أن سيدنا إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام كانوا مسلمين بل، دعوا الله لشدة حرصهما على الإسلام أن يجعلهم مسلمين له، ثم وصُّوا أبنائهم أن لا يموتوا إلا على دين الإسلام وكذلك يعقوب عليه السلام كان مسلماً ولم يطمئن قلبه حتى وصى بنيه كلهم أن لا يموتوا إلا على دين الإسلام.

سورة آل عمران آية رقم 20

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

فإن جادلوك يا محمد في شأن الدين الإسلامي الذي أنت عليه فقل لهم ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾ استسلمت لله، ومن اتبعن كذلك هم مسلمون مؤمنون ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ﴾ واسأل الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ومن أميوا العرب الوثنيين المقصود عرب الجاهلية- أأسلمتم بوحدانية الله ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ فإن

(1) ابن كثير 1/ 186.

أقروا بهذا وأسلموا فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ﴾ وإن تولوا وأعرضوا عن الاسلام وتمسكوا بدينهم الخاطئ فإنما أنت مكلف بالتبليغ فحسب – وهذا تهديد ووعيدهم لهم بأنَّ حسابهم سيكون عظيماً وعذابهم أليماً يوم القيامة- ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ والله عالم بجميع أحوال العباد فيجازيهم عليها.

روي أن رسول الله ﷺ لما قرأ هذه الآية على أهل الكتاب قالوا: أسلمنا فقال عليه السلام لليهود: أتشهدون أن عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا لا وقال للنصارى أتشهدون أن عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله أن يكون عيسى عبد وذلك قوله عز وجل ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ وتوليهم هذا يدل على عدم إسلامهم.

يقول ابن كثير وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامة عليه إلى جميع الخلق.[1]

ومما يحضرني في هذا المقام خطاب الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد – ﷺ وتسليته له بقوله ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴿٤١﴾ ﴾ (المائدة 41) يا رسول الله لا تحزن ولا تتأثر ولا تيأس من الذين يتسابقون نحو الكفر من المنافقون الذين قالوا أسلمنا وآمنا بأفواههم والحقيقة أنهم كافرون ولا

---

(1) تفسير ابن كثير 1/ 354

يتجاوز قولهم ألسنتهم من اليهود والنصارى – فالإسلام هو الانقياد والطاعة والإذعان لله ولرسوله بكل أمر ونهي فهم ليسوا بمسلمين بعدم إطاعتهم لله فيما أمر ونهي ولم ينقادوا لحكمة وهذا إعلان من رسول الله ﷺ على رؤوس الأشهاد على أنه مسلم ومن تبعه من العالم أجمع.

سورة آل عمران آية رقم 52

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

بعد أن جاء عيسى عليه السلام بمعجزات باهرات من عند الله ليبين لبني إسرائيل صدق نبوته، علم عيسى عليه السلام وأحس أنهم كفروا بها ولم يصدقوها فلما استشعر منهم هذا العدوان قال ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ قال من أنصاري في الدعوة إلى الله ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ المؤمنون الأصفياء من أتباعه وهم أنصاره من الحواريين نحن انصار دين الله ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ صدقنا بأن الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولا صاحبه له وأشهد يا عيسى أننا مسلمون.

فهؤلاء الحواريون أتباع عيسى عليه السلام وأنصاره يؤكدون على عيسى عليه السلام بأن يشهد لهم أنهم مسلمون، لأنهم عرفوا أن لا دين يقبله الله عز وجل إلا دين الإسلام.

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا على الإسلام.

سورة المائدة آية رقم 111

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

وأذكر يا رسول الله حين أمرت الحواريين وقذفت في قلوبهم أن صدقوا بي وبرسولي عيسى ابن مريم ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ قال الحواريون أمنا بالله الواحد الذي لا شريك له ولا ولد وأن عيسى عبدك ورسولك وكلمتك واشهد بأننا مسلمون لله رب العالمين.

هذه الآية تؤكد الآية السابقة بأن أنصار عيسى عليه السلام وحواريه كانوا مسلمين موحدين، لم يَدَّعوا أن المسيح هو الله أو أنه ولد الله أو ثالث ثلاثة، وهم مسلمون موحدون مؤمنون لله رب العالمين.

سورة آل عمران آية رقم 67

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

ما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على دين اليهودية ولا على دين النصرانية ولكن مائلاً عن كل الأديان الفاسدة إلى الدين القويم وهو الإسلام ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ولم يكن مشركا معتنقاً غير دين الإسلام.

وفيه تعريض إلى أن كل دين غير دين الإسلام فهو شرك.

فاليهود جمعوا بين والكفر والشرك فأما الكفر فهو عدم اعترافهم برسالة محمد - ﷺ - ونبوته، وعدم إيمانهم بالقرآن العظيم وأما الشرك فقولهم عزيز ابن الله وهذا غيض من فيض.

والنصارى أيضاً قد جمعوا بين الكفر والشرك، فأما كفرهم فهو عدم اعترافم برسالة محمد ﷺ وعدم إيمانهم بالقرآن العظيم وأما شركهم فقولهم عيسى ابن الله وقولهم عيسى هو الله وقولهم بالتثليث - فهذا جامع بين الكفر والشرك - وهذا غيض من فيض أيضاً.

نسأل الله عز وجل أن يثبتنا على دينه أنه نعم المولى ونعم النصير.

ليس بهذا فقط يكفر اليهود والنصارى فهناك أشياء كثيرة جداً تكفر اليهود والنصارى ولكنا ذكرنا ما ورد آنفاً انسياقاً مع الآية.

سورة المائدة آية رقم 44

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ أنه أنزل التوراة على موسى عليه السلام وهو ليس صيغة أمر ولا يدل على وجوب أتباعها إلا ما هو مشترك بين جميع الرسل ألا وهو التوحيد دون الفروع الشرعية المختلف فيها فيما بينهم ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ ﴾ فيها الهداية والرشد والضياء والنور

﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ يحكم بها أنبياء الله ورسله المتقدمين الذين أسلموا لله رب العالمين – وهذا مما يدل على أن كل رسول بعث لبني إسرائيل كان مسلماً موحداً ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يحكم هؤلاء الرسل للذين هادوا بالتوراة دون تحريف أو تبديل ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ والعلماء والفقهاء منهم أمروا بتحكيم التوراة ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ وأمروا أيضاً بحفظ كتابه من التحريف والتبديل والضياع – فلم يطيقوا حمل هذه الأمانة فبدلها وحرفها من جاء بعدهم وهذا قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ٧٢﴾ [1] إنا عرضنا الكتب السماوية والتكاليف الشرعية والفرائض على السماوات والأرض والجبال ليحفظنها فأعرضوا عن حملها وخفن من شدتها وثقلها وحملها الإنسان أنه كان شديد الظلم لنفسه – والعرض كان تخييراً لا إلزاماً للسموات والأرض والجبال.

والمراد تعظيم شأن الأمانة وأنها من الثقل بحيث لو عُرضت على السماوات والأرض والجبال لأبين حملها واشفقت منها فهذا ضرب من المجاز. [2]

---

(1) الأحزاب آية رقم 72.

(2) صفوة التفسير 2/ 540.

ولهذا تعهد الله سبحانه وتعالى حفظ كتابه القرآن الكريم بنفسه ولم يوكل حفظه لأحد من خلقه يقول سبحانه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1] إنا نحن بعظم شأننا نزلنا القرآن عليك يا محمد ونحن الحافظون لهذا القرآن، نصونه من الزيادة والنقصان، والتبديل والتغير، قال المفسرون: تكفل الله بحفظ هذا القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان، ولا على التبديل والتغيير كما جرى في غيره من الكتب فإن حفظها أي الكتب المقدسة مؤكلٌ إلى أهلها لقوله سبحانه وتعالى ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ وأنظر الفرق بين هذه الآية ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ حيث ضمن حفظه وبين الآية السابقة حيث وكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا[2] وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾ وأمروا أن يكونوا رقباء شهداء عليه لئلايتبدل أو يتغير ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ فلا تخافوا يا أحبار اليهود من الناس في اظهار ما في التوراة من صفة رسول الله محمد - ﷺ - ﴿ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ولا تشتروا بآيات الله حطام الدنيا القليلة الفانية فإن آيات الله لا ثمن لها إلا رضا الله والجنة ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ومن ترك شرع الله وحكمه وتحاكم إلى

---

(1) الحجر آية رقم 9.

(2) صفوة التفاسير 2/ 106

غيره ورضي به فهو كافر ضال والمقصود أنه من رضي بها عن قناعة وأنكر حكم الله جحوداً به فهو خارج عن ملةِ الإسلام.

قال ابن حيان: والآية وإن كان الظاهرة من سياقها أن الخطاب فيها لليهود إلا أنها عامة في اليهود وغيرهم.[1]

فأنبياء بني إسرائيل كلهم بجملتهم دلت الآية على أنهم كانوا مسلمين موحدين دعوا إلى الإسلام وبذلوا في سبيله كل غالي ورخيص.

ومدلول التوراة في القرآن هي التوراة التي أنزلت على موسى بحذافيرها لا ينقص منها حرف ولا يزيد فيها حرف وهكذا في كل آية من آيات القرآن.

سورة الأنعام آية رقم 14

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

قل يا محمد لهؤلاء الكفار من اليهود والنصارى ومشركي العرب- المقصود هنا العرب في زمن الجاهلية- أأتخذ معبوداً وإلهاً غير الله – وهو استفهام توبيخ وتقريع لهم ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ خالق السموات والأرض ومبدعهما وموجدهما على غير مثال سبق ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ وهو سبحانه يرزق العباد لأنه سبحانه غير محتاج لأحد وغير محتاج للطعام وهم محتاجون فهو سبحانه يطعمهم ويرزقهم ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ

---

(1) البحر 3/ 492.

﴿ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ قل يا محمد أن ربي أمرني أن أكون أول من أسلم له من هذه الأمة ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ وأوصاني وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك.[1]

وهذا مما يدل على أن كل ملةٍ وكل دين غير دين الإسلام فهو شرك.

سورة الانعام آية رقم 15

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) ﴾

قل لهم يا محمد انني أخاف أن عصيت ربي فاتخذت ديناً غير الإسلام عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

سورة الأنعام آية رقم 16

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦) ﴾

من ينصرف عنه العذاب في ذلك اليوم العصيب الرهيب فقد رحمه الله وذلك هو النجاح والفوز الظاهر.

سورة الأنعام آية رقم 161

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾

قل يا محمد للناس كافة أن الله أرتضى لي وهداني إلى الدين الحق الصحيح والطريق المستقيم الذي لا عوج فيه وأرشدني إلى دين إبراهيم عليه

---

(1) تفسير الصابون صفوة التفاسير1/ 381.

الصلاة والسلام دين الإسلام ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ديناً صحيحاً مستقيماً لا عوج فيه هو دين إبراهيم إمام المرسلين حنيفاً مسلماً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وما كان إبراهيم مشركاً.

وهذا مما يدل على أن جميع الأديان المخالفة لدين الإسلام شرك فالدين دين واحد لا يقبل الله سواه هو دين إبراهيم عليه السلام الحنفية السمحة ألا وهو دين الإسلام.

سورة الانعام آية رقم 162

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

قل يا محمد إن صلاتي – التي أمرني ربي بإقامتها - ﴿وَنُسُكِى﴾ وما ذبحت من الأنعام لأتقرب بها إلى الله ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ وكل حركة وسكنة لي في هذه الحياة من بدء حياتي إلى مماتي وما أقدمه من خيرات وطاعات مدة حياتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أنوي بها أن يكون عملي خالصاً لله رب العالمين.

سورة الأنعام آية رقم 163

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

وأمرت أن يكون عملي وعبادتي خالصة لله لا شريك له ولا أبتغي بها غيره ولا أعبد إلا هو ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وأنا أول من رضي وأقر وأذعن

وأسلم وخضع لله رب العالمين – والمقصود أن رسـول الله محمـد ﷺ هـو أول المسلمين من هذه الأمة.

بعد أن أعلن موسى عليه السلام لفرعون أنه رسول رب العـالمين، وأنـه جاء بمعجزات من الله سبحانه تدل على صدق نبوته، واظهرها أمـام فرعـون، كذبه فرعون وادعى أن موسى ساحر عليم، فدعا فرعون السـحرة للمبـارزة، فكانت الغلبة لموسى عليه السلام، فأسلم جميع السحرة لموسـى عليـه السـلام لعلمهم أن الذي ظهر على يديه ليس بسحر، فتوعدهم فرعون بالقتل بتقطيـع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم جميعاً.

سورة الاعراف آية رقم 125

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

فقالوا لفرعون وأعوانه الموت قادم لا محالة ونحن جميعـاً عائـدون إلى الله سبحانه وتعالى فالموت في سبيل الله هو ما نريد فلا نبالي بكـم ولا بتخـويفكم إيانا.

سورة الاعراف آية رقم 126

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

وما تعيب علينا إلا إيماننا بالله وبرسله وبآياته لما جائتنا فإن الايمان لـيس بعيب ولا يأتي بالعار – قال الزمخشري: أرادوا وما تعيب منا إلا ما هو أصـل

المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان[1] ﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾ ثم توجهوا إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء بقولهم ربنا أفض علينا صبراً يغمرنا عند تعذيب فرعون إيانا وتوفنا على ملة الإسلام غير مفتونين.[2]

فهؤلاء سحرة فرعون باعوا الغالي والرخيص وضحوا بأرواحهم من أجل هذا الإسلام العظيم الذي أكرمهم الله به وألهمهم إياه، ودعوا الله أن يتوفاهم على الإسلام لحرصهم عليه نسأل الله عز وجل أن يتوفانا على الإسلام.

سورة يونس آية رقم 84

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قال موسى لقومه – بعدما رأوا الآيات وبعدما أبطل الله سحر سحرة فرعون وآمن سحرة فرعون وأسلموا لله عز وجل بعدما رأوا أن معجزة موسى عليه السلام ليس بسحر وإنما هي آية من الله وتوعد فرعون من أسلم مع موسى بالقتل والصلب قال موسى لهم ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ على الله اعتمدوا وفوضوا أمركم إليه فإنه يكفيكم كل شر وضر

(1) الكشاف 2/ 142.

(2) صفوة التفاسير 1/ 465

﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ إن كنـتم مستسـلمين لأمـر الله مسـلمين لـه منقـادين لحكمهُ.

سورة يونس آية رقم 85

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فأجابو قائلين: على الله اعتمدنا وله أسلمنا أمرنـا وبـه ثقتنـا ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ربنا لا تسلطهم علينا فيعذبوننا ويقهروننـا ويتشمتون بنا فيقولون لو كان هؤلاء على حق لما أصيبوا.

سورة يونس آية رقم 86

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

وخلصنا وأنقذنا من فرعون وأعوانه بفضلك وكرمك وأنعامك ثم دعـا موسى عليه السلام على فرعون وأعوانه الظلمة فاستجاب الله لرسوله موسى عليه السلام بغرق فرعون وجنوده في اليم فأسلم فرعون لله وهو يغرق، ولكن إسلامه هذا لا ينفعه لأنـه حـين التلـبس بـالموت والمقصـود أن موسـى عليـه السلام كان مسلماً وارتضى لقومه دين الاسلام بعد أن ارتضاه لنفسه وأمرهم بإتباعه.

سورة يونس آية رقم 71

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾

أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ بقوله لـه ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ اقرأ يا محمد على الناس وأعلمهم خبر الرسول العظيم نوح عليه السلام مع قومه المكذبين ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ حين قال لقومه الجاحدين المكذبين يا قوم إن كان عظيم عليكم ﴿مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ طول مقامي ومكثي فيكم وتذكيري إياكم بآيات الله وتخويفكم بها – فقد لبث نوح عليه السلام يدعوا قومه ألف سنة إلى خمسين عاماً– ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ على الله اعتمدت وفوضت أمري إليه دون سواه ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾فأنهوا أمركم معي وادعوا كل من تريدون لمكيدتي ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾ وأفصحوا عما تريدون في شأني وليكن مكشوفاً للجميع ولا تستروه ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا

﴿ تُنظِرُونِ ﴾ ثم أفعلوا هذا الأمر الذي اتفقتم عليه ولا تمهلونني لحظة واحدة – وذلك لأنه يعلم أن الله سبحانه يرعاه ويحفظه من كل سوء ولا يدعهم يصلون إليه بأذى كما حفظ أولوا العزم من الرسل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ومن ضمنهم هو – أي نوح عليهم السلام جميعاً وذلك إظهاراً لعدم المبالاة، وبثقته بالله وبعصمته وبنصره.

سورة يونس آية رقم 72

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

فإن رفضتم النصيحة والتذكير وأعرضتم عنها وكذبتم برسالتي فليس لأني طلبت منكم أجراً على دعوتي حتى تمتنعون بل لأنكم أنتم ضالون مضلون ممتنعون عن التذكير ومعرضون عن النصيحة.

﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ فأنا لا أبتغي أجراً من أحد فعلى الله أجري وحده دون سواه فنصيحتي لكم وتبليغ الرسالة لا أطلب فيها إلا وجه الله لا لغرض من أغراض الحياة الدنيا الفانية ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وأنا متمسك بما أمرت به من الإسلام لله عز وجل فأنا من المسلمين الموحدين له سبحانه.

فهذا نوح عليه السلام كان مسلماً موحداً دعا الناس إلى الإسلام وإلى التوحيد مثل باقي الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

سورة الأعراف آية رقم 157

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة من نفس السورة أن رحمته وسعت كل مخلوقاته وأنه سيكتبها للذين يؤتون الزكاة ويتقونه ويؤمنون بالقرآن الذي نزل على رسوله محمد – ﷺ – قال سبحانه ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾هؤلاء هم الذين يرحمهم ومن صفتهم أيضاً إتباع الرسول محمد النبي العربي الأمي الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة رسولاً من الله ونبياً من أنبيائه ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾الذين يجدون نعته وصفته في التوراة والإنجيل، قال ابن كثير: هذه صفة رسول الله محمد – ﷺ – في كتب الأنبياء، وبشروا أممهم ببعثته،

وأمـروهم بإتباعـه، ولم تـزل صـفاته موجـودة في كتـبهم يعرفهـا علمـائهم وأحبارهم.[1]

﴿ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ ومن صـفته عليـه السلام أنه لا يـأمر إلا بكـل شـيء مستحسـن ولا ينهـى إلا عـن كـل شـيء مستقبح ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ ويحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من الطيبات، ويحرم عليهم مـا يسـتخبث مـن نحـو أكل لحم الخنزير والربا والدم والميتة وما استحلونه من المحرمات الضارة وهـذه الآية دالة على تحريم الدخان﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ ويلغي عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة – والتي شبهها سـبحانه بالأغلال – مثل قتل النفس عند التوبة وقطع موضـع النجاسـة بـدل غسـله، والقتل في القصاص ولو كـان المقتـول خطـأ أو عمـداً ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ فالذين صدَّقوا بمحمد وعظموه ووقروه ونصروا دينـه ﴿ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ واتبعوا القرآن الذي نـزل عليـه – وقـد سمـاه الله نـوراً لأنـه يستضـاء بـه في كشـف الظلمـات﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أولئك هم الفائزون بالسعادة السرمدية.

---

(1) ابن كثير ج2 ص 251.

سورة يوسف آية رقم 101

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾

قال المفسرون: إن يعقوب أقام مع ابنه يوسف عليهما السلام في مصر أربعاً وعشرين سنة ثم مات وكان قد أوصى أن يدفن بالشام في مدينة الخليل في فلسطين في مسجد الحرم الإبراهيمي الشريف إلى جنب أبيه إبراهيم و إسحاق، فمضى يوسف بنفسه ودفنه ، ثم لما عاد إلى مصر عاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد، وأشتاق إلى لقاء الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب فقال داعياً ربه ومناجيه ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ ﴾ رب قد اعطيتي الملكَ وعلمتني تفسير الرئى ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يا مبدع السماوات والأرض وخالقهما على غير مثال سبق ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾ أنت يا رب متولي أموري وشؤوني في الدنيا والآخرة ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ أقبضني إليك مسلماً موحداً ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ واجعل لحاقي بالصالحين.

فهذا نبي الله يوسف عليه السلام ابتهل إلى ربه أن يحفظ عليه إسلامه، مما يدل على أنه عليه السلام كان مسلماً موحداً معتنقاً لدين الإسلام متابعاً آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعاً على دين الإسلام الذي ارتضاه الله لهم، ولم يكونوا يهوداً أو نصارى بل كانوا حنفاء مسلمين ولم يكونوا مشركين.

نسأل الله عز وجل أن يحفظ علينا إسلامنا حتى نلقى الله عز وجل مسلمين موحدين إنه نِعم المولى ونِعم المجيب.

سورة النمل آية رقم 15

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داوود وابنه سليمان وحمدهما لله وشكره على أن فضلهما على كثير من عباده المؤمنين فقد فضلهما بالنبوة والرسالة وبالإسلام والدعوة له والملك والتمكين فيقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ ﴾لقد أعطينا داوود وابنه سليمان علماً من علوم الدين والدنيا ﴿ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقالا الحمد لله الذي فضلنا بالنبوة، وبالرسالة، وبالتمكين في الأرض ما لم يؤتِ كثيراً من عباده المؤمنين.

سورة النمل آية رقم 16

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

وورث سليمان أباه داوود ونادى بالناس وقال: يا أيها الناس أكرمنا ربنا بتعليمنا منطق الطير وأصوات جميع الحيوانات وأتانا من كل شيء مما يعطي الملوك والعظماء إن هذا من فضل الله الجلي الواضح علينا.

سورة النمل آية رقم 17

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

وجمعت لسليمان – عليه السلام – جنوده وجيوشه وعساكره من الجن والإنس والطير وركب فيها في أبهة وعظمة كبيرة في مسيرة ضخمة وهم يمنعون أحداً من التقدم بين يديه.

سورة النمل آية رقم 18.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

حتى اذا وصلوا وادي النمل نادت نملةٌ برفيقاتها يا أيها النمل أدخلوا بيوتكم ليكسرنكم سليمان وجنوده ويحطمونكم بأرجلهم وهم لا يشعرون بكم.

خاطبت النملة زميلاتها مخاطبة العقلاء يا أيها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء وقولها وهم لا يشعرون بكم: أي هم لا يريدون عن عمد لأنها علمت أن سليمان عليه السلام نبي رحيم.

فسمع سليمان عليه السلام كلام النملة، وفهم مرادها فشعر بالغبطة والسرور لأنها وصفتهم بالتقوى والتحفظ من مضرة أحد، وسر أيضاً لما أعطاه الله من معرفة ما قالت: وقولها ﴿ يا ﴾ نادت ﴿ أَيُّهَا ﴾ نبهت ﴿ ٱلنَّمْلُ ﴾ عينت ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ﴾ أمرت ﴿ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ حضت ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ حذرت ﴿ سُلَيْمَٰنُ ﴾ خصصت ﴿ وَجُنُودُهُۥ ﴾ عممت فيا لها من نملة ذكية.[1]

ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال قرصت نبياً من الأنبياء نملة، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: في أن قرصتك نملة أهلكت أمة تسبح، فهلا نملة واحدة.

سورة النمل آية رقم 19

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

---

(1) صفوة التفاسير للصابوني 1/ 406

فتبسم سليمان – عليه السلام – من قول النملة وسر سرورً عظيما وقال: رب ألهمني ووفقني لشكر نعمكَ وعطائك الذي أعطيتني وأنعمت علي وعلى والدي ووفقني للعمل الصالح الذي يرضيك عني وترضاه منا وأدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين.

سورة النمل آية رقم 20

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

وفتش سليمان عليه السلام وبحث عن جماعة الطيور ليجد الهدهد وكانت الطير تظله بأجنحتها من حر الشمس، وكان الهدهد بما أعطاه الله من خصائص يدل سليمان عليه السلام على موضع الماء من الأرض فإذا قال الهدهد هاهنا الماء شقت الأرض وفجرت العيون فشرب عليه السلام وشرب جيشه.

فلما فصل سليمان عليه السلام عن واد النمل ونزل في قفر من الأرض عطش سليمان عليه السلام وعطش جنده فبحث عن الهدهد بين الطير ليدله على موضع الماء فلم يجده ﴿ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ فقال سليمان عليه السلام مالي لا أرى – الهدهد – بل هو غائب دون إذن مني استهتاراً بنا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾

لأعاقبهُ عقاباً شديداً بنتف ريشه وتركه في الشمس ملقى حتى تأكله الديدان والنمل أو لأذبحنه أو ليأتيني بحجة واضحة على تغيبه.

سورة النمل آية رقم 22

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

فأقام الهدهد مدة غير طويلة ثم أتى بعد الغياب اليسير إلى سليمان فقال: علمت وأطلعت على أمر لم تحط به ولم تعلمه أنت وأتيتك من سبأ بخبر أكيد – وسبأ مدينة باليمن.

سورة النمل آية رقم 23

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

إني رأيت شعباً عظيماً تملكهم امرأة وأعطيت أسباب القوة والمنعة والجيوش الجرارة والمال والعتاد وكل ما يحتاج إليه الملوك من العظمة والجاه واتخذت عرشاً عظيماً مكللاً بالورد والجواهر والياقوت والذهب قوائمه من جوهر – الملكة هي بلقيس.

سورة النمل آية رقم 24

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

وجدت هذه الملكة هي وقومها مجوساً يعبدون الشمس فيسجدون لها صباحاً ومساءً ولا يسجدون لله وزادهم إبليس طغياناً وكفراً بتحسين هذا العمل – أي سجودهم للشمس وعبادتهم إياها من دون الله فصدهم عن طريق الحق والصواب فهم عن طريق الحق تائهون ضائعون لا يهتدون، ثم قال الهدهد متسائلاً متعجباً؟!.

سورة النمل آية رقم 25

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

أيسجدون للشمس ولا يسجدون لله الخالق العظيم؟!! الذي يعلم الخفايا ويعلم كل مخبوء في العالم العلوي والسفلي[1] ويعلم السر والعلن، ما ظهر وما بطن – هذا من كلام الهدهد ومن كلامه أيضاً كما نبأ عن النطق القرآني.

---

(1) صفوة التفاسير للصابوني 2/ 407.

سورة النمل آية رقم 26

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ﴾

الله لا إله إلا هو متفرد بالعظمة والجلال رب العرش الكريم العظيم – انتهى قول الهدهد – وقول الهدهد هذا إخبار من الله سبحانه.

ما أعجب هذا الهدهد وما أعظم كلامه فقد عرف هذا المخلوق الضعيف ما غفل عنه كثير من الناس فهو يعلم أن السجود لا يكون إلا لله وأن الله يعلم كل مخبوء في السماوات والأرض، وأن الله يعلم السر والعلن، ويعلم الهدهد أن الله واحد لا إله إلا هو رب العرش العظيم، وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات.

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد والصرد، وسنده صحيح[1] والصرد هو الضفدع.

وفي هذا المقام حضرني قول الله سبحانه ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) ﴾ أرأيت من جعل هواه إلهاً له – أي جعل دينه تبعاً لأهوائه – ويصور إلهه كما يحلو له – أفأنت تكون حافظاً تحفظه من إتباع هواه ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) ﴾ أم تحسب أن هؤلاء الكفار ينتفعون بأسماعهم فيسمعون سماع قبول أو ينتفعون بعقولهم عند سماعهم

---

(1) تفسير ابن كثير 3/ 361.

الحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله ما هم إلا كالبهائم بل هم أبشع من البهائم والأنعام السارحة لأن البهائم تهتدي وهم لا يهتدون.

ثم قال سليمان عليه السلام للهدهد.

سورة النمل آية رقم 27

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

سننظر في قولك ونعلم أهو صدق أم كذب – ثم كتب سليمان عليه السلام كتاباً ودفعه إلى الهدهد وقال له:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

خذ كتابي هذا وأذهب به إلى الملكة وجندها وألقه إليهم ثم تنح عنهم وأعلم ماذا يكون جوابهم، قال المفسرون أن الهدهد أخذ الكتاب وذهب إلى الملكة بلقيس وجندها، فرفرف فوق رأسها ثم ألقى الكتاب في حجرها فأخذته متعجبة.

سورة النمل أية رقم 29

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

وقالت لمن حولها من قائدي الجيش والأشراف ولمن لهم المشورة إنه أُلقي إلي وأتاني كتاب جليل عظيم.

سورة النمل آية رقم 30

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾

إن هذا الكتاب مبعوث من قبل سليمان فلما فتحت الكتاب وجدته قد بدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وهو إعلان الربوبية لله والدعوة إلى توحيده وطاعته والاستسلام لله.

سورة النمل آية رقم 31

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

لا تتكبروا عليّ وجيئوني موحدين مسلمين مؤمنين وهذا مما يدل على أن سليمان عليه السلام كان رسولاً نبياً موحداً مؤمناً مسلماً داعياً إلى دين الإسلام، وليس كما أدعت اليهود أنه كان ساحراً، وهناك آيات كثيرة تَرُدُّ على اليهود هذه الفرية على سليمان عليه الصلاة والسلام

سورة النمل آية رقم 32

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾

فجمعت قومها وذو الخبرة والشأن وقالت أشيروا علي في أمري وما هو المخرج منه، ما كنت لآمر آمراً حتى توافقوا أنتم عليه.

سورة النمل آية رقم 33

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

فرد عليها القوم بقولهم: نحن نملك كل أسباب القوة والمنعة والبأس الشديد، ونحن ننتظر أمرك فأمرينا نطع أمرك ونمتثل له - وهذا حسن أدب منها وإطاعة منهم.

سورة النمل آية رقم 34

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قالت إن من عادة الملوك أنهم إذا فتحوا بلداً عنوةً وقهراً خربوها وأذلوا أشرافها بعد العزة ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ وهو كذلك فعلهم.

سورة النمل آية رقم 35

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

وإني سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه.

عن ابن عباس قال: قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي. فاتبعوه وأسلموا معه لله رب العالمين[1].

قال قتاده: ما كان أعقلها في اسلامها وشركها.

---

(1) تفسير ابن كثير 3/ 361.

سورة النمل آية رقم 36

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

فلما قدم رسل بلقيس بهديتهم العظيمة وقدَّموها لسليمان قال: أتختبرونني بمال فما أعطاني ربي من الرسالة والنبوة والإسلام خير من الهدايا والمال الذي تختبرونني به ومن زينة حياتكم أُنتم تفرحون بالهدايا لأنكم تفاخرون بها أما أنا فلا أقبل منكم إلا الاسلام أو السيف – ثم قال لرئيس الوفد:

سورة النمل آية رقم 37

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

ارجع إليهم بهديتهم فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بقتالهم ولنخرجنهم من بلدتهم أذلة وهم مهانون مدحورون.

قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها بالخبر قالت عرفت ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان إني

قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعوا إليه من دين ثم ارتحلت إلى سليمان في أثني عشر ألف قائد.[1]

سورة النمل آية رقم 38

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قال سليمان – عليه السلام – لمن حضره من قواد جيشه من الجن والإنس من منكم يأتيني بعرشها – وهو الكرسي المرصع بالجواهر والدرر قبل أن تصل إلي مع قومها مسلمين.

سورة النمل آية رقم 39

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

قال مارد من مردة الجان: أنا أحضره إليك قبل أن تفض مجلسك هذا، وأنا على هذا الأمر لقوي أمين على ما فيه من درر وكان عليه السلام يعقد في كل يوم مجلس معلوم الوقت.

---

(1) صفوة التفاسير للصابوني 2/ 409

سورة النمل آية رقم 40

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

فقال رجل من الحاضرين عنده وهو من بني البشر أنا أحضره بلمح البصر فحضر العرش قيل أن الرجل هو أصف بن برخيا [1] كان من الصديقين لم يتعرض القرآن الكريم للكيفية التي أحضر فيها العرش ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ فلما رأى سليمان العرش مستقراً عنده ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ قال هذا من فضل الله علي وإحسانه إلي ﴿ لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ ليختبرني أأشكر أم أكفر إنعامه وإحسانه ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ ومن شكر فذلك راجع إليه بزيادة النعمة عليه ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ومن كفر نعمة الله عليه وجحدها فإن الله مستغنٍ عنه.

سورة النمل آية رقم 41

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

---

(1) الصابوني ج2 ص409

قال سليمان عليه السلام لمن حوله – لمن له الخبرة في صنعة المصاغ – غيروا بعض أوصاف وهيئة عرشها ونكّروه لها لنرى هل تعرف أنه عرشها أم لا – أراد اختبار ذكائها.

سورة النمل آية رقم 42

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

فلما أصبحت تنظر إلى عرشها المنَكَّر قال لها سليمان عليه السلام: أيشبه هذا العرش عرشك ويماثله – ولم يقل: أهذا عرشك – لئلا يكون تلقيناً لها فقالت: يشبهه كثيراً كأنه هو، أي أنها لم تقل نعم، ولم تقل لا ليس هو عرشي وهذا غاية في الذكاء والحزم.[1] ثم قال سليمان عليه السلام كما ذكر الله ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ لقد أوتينا العلم من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين أي لم يمنعنا إسلامنا من أن نكون علماء.

فسليمان عليه الصلاة والسلام كان مسلماً موحداً، ولم يكن ساحراً كما أدعت اليهود، وكل نبي كان يبعث بدين الإسلام، وليدعوا الناس إلى توحيد الله، وأفراده بالعبودية، وهذا رد على من أدعى أن سبب تخلف المسلمين هو الإسلام بل سبب تباطؤ المسلمين وتراجعهم يعود إلى ترك تعاليم دين الله وبعدهم عن الإسلام إلا من رحم الله.

---

(1) ابن كثير 3/ 365

فهذا عمر رضي الله عنه يقول: لقد أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغيره اذلنا الله.

سورة النمل آية رقم 43

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾
ومنعها من الإيمان والإسلام عبادتها للشمس والقمر، ونشوءها بين قوم كافرين هم قومها.

سورة النمل آية رقم 44

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فقال سليمان عليه السلام لها أدخلي القصر العظيم الفخم فلما رأت ذلك القصر العظيم حسبته لجة ماء كثيرة وكشفت عن ساقيها لتخوض فيه ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ ﴾ قال سليمان – عليه السلام لها إن هذا الصرح مصنوع من الزجاج الصافي الظاهر أنهم كانوا أدق منا في هذا العصر بصنع الزجاج – فلما رأت ملكاً هو أعز من ملكها وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قالت ربٌ أني ظلمت نفسي بعبادة الشمس والقمر وتابعت سليمان على دينه فدخلت في دين الإسلام مؤمنة مسلمة لله رب العالمين.

وقد خُيِّر رسولنا الحبيب محمد ﷺ على أن يكون ملكاً رسولاً أو عبداً رسولاً فأختار أن يكون عبداً رسولاً لما اختصت به رسالته ﷺ بعدم الإكره في الدين فإن رسالته ﷺ تقوم على الحجة والاقناع.انتهى

سورة النمل آية رقم 91

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قل لهم يا محمد إني أمرت بعبادة الله وحده ولا أشرك به شيئاً رب البلد الأمين مكة المكرمة الذي أمر سبحانه بتحريم سفك الدم فيها وبتحريم الظلم والصيد – كما جاء في الحديث الشريف عن رسول الله – ﷺ – أنه قال " إن هذا البلد حَرَّمهُ الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يُختَلى خلالها أي لا يقطع خشبها الرطب وهو سبحانه له الملك فكل شيء مملوك له تحت تصرفه وقهره وأمرت أن اعتنق دين إبراهيم حنيفاً مسلماً مستسلماً مخلصاً موحداً منقاداً لله.

سورة النمل آية رقم 92

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾

وأمرت أن أتعهد هذا القرآن بالتلاوة والحفظ وتلاوته على الناس ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ فمن درس هذا القرآن وصدقه واتبعه

وهدي به واستنار قلبه بفيض الإيمان فإن ثمرة هدايته راجعة إليه بالنجاة من النار والفوز بالجنة ﴿ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ ومن كذّب بهذا القرآن وكذّب رسول الله فقد ضل ومن ضل فقل له يا محمد ما عليَّ إلا أن أبلغكم رسالة ربي وأنذركم بهذا القرآن العظيم – أي أنما يكون ضلالة على نفسه.

سورة النمل آية رقم 93

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

وقل يا محمد الحمد لله الذي اجتباني واصطفاني على سائر خلقه بالرسالة والنبوة وسائر الكرامات، ثم يهددهم ويتوعدهم بقوله.

﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ سيريكم آياته الكونية وفي أنفسكم وفي الأفاق لتعلموا عظيم قدرته وسلطانه بها – فإما أن تنفعكم بالإسلام لله عز وجل وإما أن تكون وبالاً عليكم – فلذلك قال سبحانه ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ وما ربك بغافل عن أعمال العباد، فهو على كل شيء شهيد.

سورة القصص آية رقم 52

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

الذين أعطيناهم التوراة والإنجيل من قبل هذا القرآن – من مسلمي أهل الكتاب – هم بهذا القرآن يصدقون – قال ابن عباس يعني من آمن بمحمد – ﷺ – من اليهود والنصارى[1] من أهل الكتاب.

فإن نعت وصفة محمد – ﷺ – مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل فمن صدق بهذا النبي وآمن به بعد بعثته أو قبل بعثته فهو مسلم ومن آمن بهذا القرآن أيضاً من اليهود والنصارى وعمل به فهو مسلم، يؤتيه الله أجره مرتين مرة إيمانه بنبيه ومرة بمحمد وبالقرآن.

سورة القصص آية رقم 53

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

وإذا قرئَ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما فيه لأن ما فيه الحق من الله الذي لا مرية ولا شك ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ إنا كنا من قبل نزول هذا القرآن موحدين لله، مسلمين، مستسلمين لأمره، مؤمنين أنه سيبعث محمد وينزل عليه هذا القرآن العظيم.

(1) الطبري 20/ 56

سورة القصص آية رقم 54

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

إن من كانت تلك صفتهم من الإيمان ببعثة محمد ﷺ ومن آمن به بعد مبعثه وبكتابه من أهل الكتاب يوتيهم الله أجرهم مضاعفاً، مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن ففي الحديث "ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي"[1] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ بسبب صبرهم وثباتهم على الحق وإتباعه فإن ترك الشريعة التي نشأ عليها لشريعةٍ أخرى هو صعب، كيف لا وقد جاءه الحق من عند الله، بلا شك أن من حوله من الأقارب والجيران والزملاء سيلومونه على ترك شريعته وربما يصل الأمر إلى أكثر من ذلك فذلك هو الصبر والثبات ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ويدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم بالحسنة أي الكلمة الطيبة قال ابن كثير: لا يقابلون السيئة بمثلها ولكن يعفون ويصفحون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ومن الذي رزقناهم من الحلال ينفقون على الفقراء والمساكين وعلى أنفسهم وأهليهم.

---

(1) رواه مسلم

سورة القصص آية رقم 55

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

وإذا سمعوا ما يكرهون من فاحش الكلام والسب والشتم ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟﴾ ابتعدوا عنه ولم ينههم ذلك عن متابعة الرسول والسير معه على الإسلام وقالوا لمن يسبهم ويشتمهم ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لنا ديننا الإسلام ولكم عبادة الهوى والأوثان ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام مباعدة ومتاركه قال الزجاج: لم يريدوا التحية وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركه ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ لا نريد قرب الجاهلين وصحبتهم ومخالطتهم.

قال الصاوي: كان المشركون يسبون مؤمني أهل الكتاب أي الذين أسلموا ويقولون لهم: تباً لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم[1].

تم الحمد لله رب العالمين

---

(1) حاشية الصاوي على الجلالين 3/ 221.

الباب الخامس

هدى الله يهدي به من يشاء من عباده

الباب الخامس

هدى الله يهدي به من يشاء من عباده

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ خير من صلى وصام وقام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

في هذا الباب يبين الله سبحانه وتعالى أن جميع الأنبياء والرسل لُحمةً واحدة، وقد ذكرهم الله عز وجل بالإسم، وإنهم من أنسال بعضهم البعض وأنه سبحانه هداهم إلى ذكر الله عز وجل وهداهم إلى توحيده والدعاء لتوحيده، ومن جملتهم عيسى عليه السلام حتى يعلم أنه نبي كباقي الأنبياء وليس هو الله أو ثالث ثلاثة فهو نبي مرسل، ثم بين سبحانه أن هؤلاء الرسل لو زاغوا وأشركوا لذهب الله بعملهم وأحبطه مع علو قدرهم فكيف بمن عاداهم من الناس، ثم يخاطب الله عز وجل رسوله محمداً ﷺ أن اقتد بأثر هؤلاء الرسل وتابعهم على التوحيد بقولهِ لا إله إلا الله وتأس بسيرتهم مع ما أتيناكَ من القرآن العظيم أنت ومن تبعك من الأمم، ثم بين الله سبحانه أن إنكار رسل الله وكتبه التي أنزلها عليهم ليس من تعظيمه وأن من يجعل من كتب الله قراطيس وإخفاء كثير من أحكامها فهو أيضاً ليس من تعظيمه، ثم بين الله سبحانه أن هذا القرآن الذي نزل على محمد ﷺ للناس كافةً كثير النفع والفائدة فاتموا إيمانكم وعملكم بالإيمان بهذا القرآن، ثم بين الله سبحانه أنه رضي لهذه الأمة هذا الدين – وهو دين الإسلام – الذي ارتضاه لنوح

وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأمرهم بإقامته والدعاء له ثم بين الله سبحانه أن هذا ميثاقاً على النبيين وخص بالذكر أولي العزم من الرسل محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بأن يصدق بعضهم بعضاً وأن يبينوا للناس ما بكتبهم.

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

سورة الانعام آية رقم 84

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن، وأيس هو وأمرأته سارة من الولد فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك وقالت كيف أنجب وأنا عجوز وزوجي شيخ كبير، فأجابوها أن الله قادر على كل شيء، وذلك رحمة من الله وبركاته عليكم آل البيت، فبشرها بنبوته وبأن له نسلاً وعقبا لتمام البشارة، وهو يعقوب ولد إسحاق ولد ابراهيم عليهم السلام، وأنه سيولد في حياتكما لتقر به أعينكما وكانوا جميعاً هداة مهديين ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ وهدينا نوحاً من قبل إبراهيم ووهبنا له ذرية صالحة.

فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض، الا من آمن به وهم الذين صحبوه في السفينة جعل الله ذريته هم الباقون فالناس جميعاً من ذريته ﴿ وَمِن

﴿ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ﴾ ومن ذريته – أي نوح عليه السلام أو ابراهيم – داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون كل أولئكَ وفقنا للحق ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وكذلك نجازي من كان محسناً صادقاً في إيمانه.

سورة الانعام آية رقم 85

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥)﴾

وهدينا أيضاً لمثل الذي هدينا إليه الأنبياء المتقدمين من التوحيد الخالص والاسلام لله، زكريا، ويحيى إبن زكريا، وعيسى ابن مريم والياس ﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وجميعهم كاملون في الصلاح مسلمون لله رب العالمين.

سورة الأنعام آية رقم 86

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٨٦)﴾

وهدينا أيضاً إلى التوحيد إسماعيل إبن إبراهيم واليسع بن اخطوب بن العجوز، ويونس بن متى، ولوط بن هارون وهو ابن أخ إبراهيم ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وكل نبي من هؤلاء الأنبياء المذكورين فضلناه على عالم زمانه.

سورة الأنعام آية رقم 87

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ﴾

وهدينا أيضاً من آباءِ هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرياتهم وإخوانهم آخرين لم يسمهم، هداهم إلى الطريق الحق والصراط المستقيم الذي لا عوج فيه.

سورة الأنعام آية رقم 88

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

ذلك الهدى إلى طريق الحق والصراط المستقيم هو هدى الله يختص به من يشاءُ من عباده ويهدي به من أراد من خلقه ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ولو أن هؤلاء الرسل أشركوا لبطل وسقط عنهم ثواب أعمالهم الصالحة.

هذا مع علو قدرهم فكيف بمن عاداهم وذلك تشديداً لأمر الشرك، وتغليظاً لشأنه وتعظيماً لملابسته.

وذلك كقوله تعالى ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الزمر: ٦٥ وهذا شرط والشرط لا يقتضي جواز الوقوع.

سورة الأنعام آية رقم 89

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ٨٩ ﴾

هؤلاء الرسل أنعمنا عليهم بإنزال الكتب السماوية وملأنا صدورهم بالحكمة وخصصناهم بالرسالة والنبوة ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ فإن يكفر بآياتنا كفار عصرك يا محمد من اليهود والنصارى والمشركين ﴿ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ فقد استحفظناها واسترعيناها قوماً يتحملون من أجلها المشاق ويبذلون في سبيلها أغلى ما عندهم.

سورة الأنعام آية رقم 90

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠ ﴾

أولئك يا محمد – يعني الأنبياء وعباد الله الصالحين المجاهدين هم وذريتهم وإخوانهم وآبائهم – هم أهل التقى والصلاح والهدى ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ اقتد بهداهم من التوحيد الخالص، وتابعهم على قولةِ لا إله إلا الله، وتأس بسيرتهم العطرة بالصلاح والتقوى، وبالإسلام لله رب العالمين.

وهو أيضاً أمر لأمته ﷺ فأمته تبعٌ له فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾ قل يا محمد لا اريد منكم مالاً ولا ابتغي

شيئاً من متاع الدنيا ولا أجراً على إبلاغي إياكم هذا القرآن ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ ما هذا القرآن إلاعظةَ وتذكرةَ ، فيرشد الضال، ويهدي العمي.

سورة الأنعام آية 91

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾

بعد أن كذبت طائفة من اليهود الرسل وأنكروا نزول القرآن على رسوله محمد ﷺ.

والعرب في زمن رسول الله أيضاً أنكروا رسالة محمد ﷺ لأنه من البشر وكانوا يريدون ملكاً ينزل عليهم من السماء ليهديهم قال سبحانه منكراً عليهم ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظَّموا الله حق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ حين أنكروا نزول القرآن وأنكروا بعثةَ محمد عليه السلام خاصة والرسل والكتب عامة ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المعاندين من أنزل التوراة التي أنزلت على موسى بن عمران؟ التي قد علمتم

نزولها عليه، نوراً وهدى يستضاء بها وهداية لبني اسرائيل ﴿ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ وعند كتابتها من الكتاب الأصلي لا تكتبونها جملة واحدة بل تقطعونها في قراطيس فتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتخفون كثيراً منها.

قال الطبري: ومما كانوا يكتمونه إياهم ما فيها من أمر محمد ﷺ ونبوته.[1]

﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ وعلمتم من إنزال القرآن نبأ ما يأتي وخبر من سبقكم من الأمم ما لم تعلموا من قبل أنتم ولا ابائكم ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ قل يا محمد الله أنزل هذا القرآن – الذي فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا – ثم اتركهم في خوضهم وباطلهم يلعبون ويستهزءون كما يشاءون وهذا تهديد ووعيد لهم.

سورة الأنعام آية رقم 92

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

(1) الطبري 11/ 527.

وهذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ مبارك كثير النفع والفائدة ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يصدق كتب الله جميعاً المنزلة قبله ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ولتنذر بهذا القرآن يا محمد أهل مكة ومن حولها من سائر أهل الأرض من بني آدم عرب وعجم أسود وابيض وأصفر ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ وكل من آمن بالله واليوم الآخر يومن بهذا القرآن الكريم المبارك الذي أنزلناه إليكَ يا نبي الله يا محمد ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وهم يحافظون على الصلوات ويؤدونها في أوقاتها على الشكل الأكمل.

أي ما آمن بالله ولا باليوم الآخر من أنكر القرآن ونزوله على رسول الله محمد - ﷺ - ولا ينفعه إيمانه بالله ولا باليوم الآخر من لم يؤمن بهذا القرآن المنزل على رسوله محمد ﷺ ويعمل به.

أي يا من آمنتم بالله واليوم الآخر تمموا إيمانكم بتصديقكم بالقرآن العظيم وحافظوا على صلاتكم التي علّمكم إياها رسول الله محمد ﷺ.

أي أن من أراد الشرع الصحيح الصادق الذي لا مرية فيه فليتبع القرآن العظيم ففيه الصحيح من صحف إبراهيم وزبور داوود وتوراة موسى وإنجيل عيسى فهو جامع لشتاتها وما هو نافع منها لخلقه إلى يوم القيامة، فمن ترك القرآن الكريم إلى غيره أو أنكر آية من آياته فهو كافر مخلّد في نار جهنم والمؤمن لا ينكر آية من آيات صحف ابراهيم أو زبور داوود أو توراة موسى

أو إنجيل عيسى الصحيحة بل يؤمن بجميع كتب الله مع العمل بالقرآن العظيم فالله سبحانه أعلم بما يمحوا ويثّبت.

سورة الشورى آية رقم 13

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى لأمة محمد ﷺ يقول لهم فيه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴾ ارتضى ونهج وأوضح لكم هذا الدين﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ الذي ارتضاه ووصاه لنوح ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ وهذا الدين هو نفسه الذي ارتضاه إليك يا محمد وارتضاه لعبادة ﴿ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ ﴾ وارتضى هذا الدين- أي الإسلام- لإبراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله بعد أن ارتضاه لنوح أبو البشر بعد آدم ومحمد آخر رسول وخاتم النبيين وهم أولو العزم من الرسل ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ أوصاهم جميعاً بإقامة هذا الدين والتمسك به ونهاهم عن ترك هذا التوحيد والإسلام ﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ

﴿ إِلَيْهِ ﴾ شق على المشركين دعوتهم إلى الاسلام وإلى توحيد الله وقولةِ لا إله إلا الله ونبذ الوثنية وعبادة الله وحده لا شريك له والإسلام والإنقياد والطاعة له سبحانه ﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ يعلم الله الصالح من عباده فيهديه إلى طريق الرشاد ويجتبيه من بين الناس جميعاً أي أمرتهم رسلهم بتوحيد الله والإيمان بملائكته واليوم الأخر وبالبعث والنشور وإقام الصلاة إيياءَ الزكاةَ والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح الإعمال من الصدق والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وصلة الرحم وتحريم القتل والكفر والزنا والأذية للخلق والاعتداء على الحيوان واقتحام الدناءات فهذا كله مشروع ديناً واحداً وملة متحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء، وإن اختلفت اعدادهم، أما تفصيل العبادات فهذا يختلف باختلاف الشرائع، وهذا مما يدل على أن رسالة محمد ﷺ خاتمة لجميع الشرائع السابقة ومتممة لها.

والمراد من الدين هنا هو أصل التوحيد وهو الاسلام كما سبق معنا، إلا ما ندرس من شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه السلام ولهذا لم ينقل عن النبي عليه السلام البحث عن شرائعهم، وخص نوح بالذكر تشريفاً له وتكريماً، كما خص روح عيسى بالإضافة إليه والمؤمنون بلفظ العباد.

سورة الشورى آية رقم 14

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ﴾

وما تفرق اليهود والنصارى وأهل الأديان الفاسدة ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ الا من بعد ما قامت عليهم الحجة والبراهين من النبي المرسل إليهم، أي ما منعهم من الايمان إلا الحسد والظلم والتعدي والعناد ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ ولولا قضاء الله بتأجيل العذاب عنهم إلى يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ لعجل لهم العذاب في الدنيا قبل يوم القيامة ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وإن اليهود والنصارى الذين عاصروا رسول الله ﷺ من بعد أسلافهم السابقين ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ لفي شك من صحة التوراة والإنجيل التي بين أيديهم فهم في أشد الريبة والشك والقلق والحيرة فهم غير متيقنين من صحتها والإيمان بها حق الإيمان فهم في حيرة مقلقة.

سورة الشورى آية رقم 10

قَالَ تعَالَى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾

لأجل ذلك أدع يا رسول الله هؤلاء اليهود والنصارى الشاكين في دينهم أهو حق أم باطل ومن أجل التفرق الذي حصل بينهم في دينهم أدعوهم إلى

دين الحنيفية السمحة ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ واستقيم على ذلك الدين القويم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ولا تتبع أباطيلهم – فهم متبعون الهوى في عقائدهم الفاسدة من القول على الله بالهوى دون دليل ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾وقل صدقت بكل كتاب أنزله الله على رسله ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾وأمرني ربي بالعدل بينكم بالحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ هو الله ربنا كما هو ربكم فتعالوا نفرده بالعبادة ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ الله يجازينا بأعمالنا ويجازيكم بأعمالكم: قال ابن كثير: هذا تبري منهم أي نحن براء منكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾لا جدال ولا مناظرة بيننا وبينكم فإن الحق قد ظهر وبأن ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ الله يحشرنا وإياكم يوم القيامة ليجازي كُلٌ بعمله قال الصاوي: والغرض أن الحق والحجج قد قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدل[1]، أي بعد الجدل بالتي هي أحسن وإقامة الحجة فإما الاقتناع وإما الترك.

(1) حاشية الصاوي ج2 ص 33

سورة الأحزاب آية رقم 7

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى أنه أخذ على النبيين جميعهم الميثاق، وخص بالذكر أولو العزم من الرسل.

وقد أخذ الله ميثاق النبيين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم بأن يصدقوا بالرسول العربي الأمي خاتم الأنبياء والرسل، ويعلنوا أنه رسول الله، ويبينوا للناس ما بكتبهم ومبشرين به من بعدهم.

وأخذ على نبيه ورسوله محمد ﷺ الميثاق بأن يصدق برسل الله جميعهم وبكتبهم.

فنحن المسلمين لا ننكر كتب الله، فما وافق منها القرآن نعمل به لموافقته للقرآن، وما خالف منها القرآن تركناه، لأنه إما أن يكون محرفاً أو منسوخاً، فالقرآن جاء متمماً للشرائع وليس منكرها.

وقد دُرج اسم عيسى ابن مريم بين الأنبياء والرسل حتى يعلم أنه نبي مرسل أخذ عليه العهد والميثاق مثله مثل باقي الرسل، عليهم الصلاة والسلام.

﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ وأخذنا عليهم عهداً وميثاقاً عظيماً على الوفاء بما أكرموا من تبليغ الرسالة، وأن يصدق بعظهم بعضاً.

سورة الأنبياء آية رقم 92

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

إن هذه الأمة وهذه الجماعة من الأنبياءَ الموحدين ومن وحّد الله معهم هم أمة واحدة وجماعة واحدةَ دينهم دين واحد هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله سواه فهدفهم هدف واحد، ودعوتهم دعوةً واحدةَ، ﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ وأنا إلهكم لا رب ولا معبود لكم سواي.

تم بحمد الله

الباب السادس

إِرهاصات بمولد مريم البتول والدة المسيح عليه السلام

الباب السادس

إرهصات بمولد مريم البتول والده المسيح عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى وبعد:

قبل أن نخوض في قصة عيسى عليه السلام سبقتها قصة امرأة عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم: وكانت امرأة لا تحمل فرأت يوماً طائراً يزق فرخة، فاشتهت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولد فاستجاب الله دعائها، فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحققت من الحمل نذرت أن يكون ولدها خالصاً للعبادة ولخدمة بيت المقدس.

وسبقت أيضاً قصة حمل مريم بعيسى عليهما السلام قصة زكريا ومعجزة حمل امرأته بيحيى ليكون ذلك دلالة على أن الله على كل شي قدير وأن الله سبحانه يخلق ما شاء مما يشاء وكيفما شاء.

يصطفي الله سبحانه وتعالى من عباده من يشاء لا معقب لحكمة ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى فاصطفى للذين من بين خلقه سيدنا آدم ونوح وآل ابراهيم ومن ضمنهم سيدنا محمد وآل عمران على عالم زمانهم عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

ويذكر الله سبحانه وتعالى نذر امرأة عمران التي وهبت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس ولكنها وضعتها أنثى وكان لا يُقبل إلا الذكور ولكنها مضت في عزمها على ذلك فلما أثقلت وبدا حملها والناس تعلم أنها امرأة لا

تحمل تيقن زكريا عليه السلام أن هـذه هبـة مـن الله سـبحانه وتعـالى وأن الله سبحانه تقبل نذر هذه المرأة الصالحة.- أي حنه بنت فافوذ امرأة عمران.

تكفل زكريا عليه السلام مريم منذ أول يوم من ولادتها بعد صراع على من يكفلها ولما ترعرعت ونضجت كلما دخـل زكريـا عليهـا المحـراب وجـد طعاماً وشراباً وفاكهة فيسألها من أين لك هذا الطعام فتقول هو من عند الله.

لما رأى زكريا هذه الآية دعا ربه بأن يرزقـه ولـد فاسـتجاب الله لـه بـأن رزقه يحيى وعُمر امرأته ثمان وتسعين سنة.

يقول الله سبحانه وتعالى

سورة آل عمران آية 33

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى أنه اختار هذه البيوت واصطفاها علـى جميـع خلقه وعلى سائر أهل الأرض فاصطفى ﴿ءَادَمَ﴾ أبو البشر بأن خلقـه بيـده وأسجد له ملائكته وعلمه الأسماء كلها وأسكنه بجواره ونفخ فيه من روحـه، وبكلمة كن فيكن خلقه من غير أب ولا أم.

السجود هنـا لـيس سـجود عبـادة وإنمـا هـو سـجود طاعـة ﴿وَنُوحًا﴾ واصطفى نوحاً أباً للبشر بعد آدم، واستجاب دعوته فـأغرق مـن علـى وجـه الأرض من الكافرين، وهو أول من بعث بتحريم البنات والأخوات والعمات والخـالات وسـائر ذووي الأرحـام ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ واصـطفى إبـراهيم

وعشيرته وذوي قرباه من الذين اتبعوه على شرعته ومنهاجه ومنهم محمد عليه السلام وجعل في ذرية إبراهيم الكتاب والنبوة، واتخذه الله خليلاً، وكان يكنى بأبي الضيفان وكان وحده أمة واستجاب الله دعوته ببعثة محمد عليهما السلام ﴿ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ﴾ واصطفى آل عمران أي أهل عمران ومنهم عيسى ابن مريم ﴿ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ على عالم زمانهم.

سورة آل عمران آية رقم 34

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

اصطفاهم من ذرية بعضهم البعض اصطفاهم للدين والتقى والصلاح إنه سميع لأقوال العباد عليم بهم "قال رسول الله محمد ﷺ: لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش لا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة، الطور فلا تفضلوني على الأنبياء"

سورة آل عمران آية رقم 35

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾

واذكر يا محمد قول امرأة عمران ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ رب إني نذرت حملي وما في بطني لخدمة بيت المقدس ولطاعتك

والإخلاص في عباتك ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فتقبل مني هذا النذر فإنك السميع لدعائي العليم بنيتي.

قوفاذ بن قبيل الإسرائيلي كانت له بنتان اسم إحداهما حنه وتزوجها عمران وولدت له مريم، والثانية ايشاع وتزوجها زكريا وولدت له يحيى فيحيى بن زكريا ومريم أم عيسى هما ابنا خالة وليس عيسى ويحيى ابنا خاله كما هو معروف هكذا في مجمع البيان.

سورة آل عمران آية رقم 36

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

فلما ولدتها حزنت لأنها أنثى – لأنه لم يكن يقبل إلا الذكور وقالت على وجه التحسر والاعتذار يارب انها انثى ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ والله سبحانه أعلم بالشيء الذي وضعت قالت ذلك أو لم تقله ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ اي ان هذه الأنثى التي وهبتها لك أفضل من الذكر – وهو من كلامه تعالى – لما أراد لمريم سبحانه وتعالى وهيأها لعظائم الأمور ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ ومن تتمة كلام أم مريم أنها سمت مولودها مريم – ومعناه بالعبرية خادم الرب ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾

وسألت الله عز وجل أن يعيذ مريم وابنها من الشيطان وأن لا يجعل للشيطان سبيلاً عليهما. ومعنى الاستعاذة أي الاستجارة والمنع والملجأ والمعقل بالله من الشيطان الرجيم وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال" ما من مولود يولد إلى نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلى ابن مريم وأمة"

سورة آل عمران آية رقم 37

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

فتقبل الله سبحانه وتعالى نذرها بقبول حسن ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ ورباها وأنشأها النشأة الصالحة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾ واختار الله سبحانه وتعالى زكريا ليتكفلها ويتعهد القيام بمصالحها وعند بلوغها اعتكفت في محرابها لتعبد الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ﴾ كلما دخل عليها زكريا محل عبادتها وجد عندها طعاماً وهو محل لا يدخل عليها فيه أحداً غيره ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ ﴾ فيسألها بلطف متعجباً من أين لك هذا الطعام يا مريم ﴿ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾فتقول هو من عند الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾إن الله سبحانه يعطي من يشاء بغير تعب ولا جهد وكلما تفيد الاستمرار مما يدل على استغراق زمن ما.

ذُكر إن رسول الله – ﷺ – أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف بمنازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال هل عندك شيء آكله فإنني جائع فقالت لا والله فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبقطعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنه وغطت عليه وقالت لأثرن بها رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي – أي الحسن والحسين أبناءها – وكانوا جميعاً محتاجين إلى لقمةِ طعام، فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدهما رسول الله ﷺ فرجع إليها، فقالت يارسول الله قد أتانا الله بشيء فخبأته لك قال فهلمي به فأتت به فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوئه خبزاً ولحماً فلما نظرت إليه بهتت وعرفت أنها بَرَكة من عند الله فحمدت الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بنية قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسُئلت عنه قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب ، فبعث ﷺ إلى علي فأتِيَ به فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي حتى شبعوا وبقي في الجفنة، قالت فاطمة وأوسعت منها على جميع جيراني حتى شبع جميع جيراني وجعل الله فيه بركة وخير كثيراً.

سورة آل عمران آية رقم 38

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ في هذه الفترة وفي ذلك الوقت لما رأى زكريا عطاء الله وكرمه ورحمته التي وسعت كل شيء ومريم بالذات والمؤمنين من

خلقه ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ دعا ربه زكريا متضرعاً ومتوسلاً ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ قال رب أعطني ذرية صالحة مباركة وأسمه زكريا هذا في العبرية يؤدي معنى دوام الذكر والتسبيح ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ إنك سميع النداء مجيب للدعاء.

سورة آل عمران آية رقم 39

قَالَ تعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

فنادى جبريل عليه السلام زكريا وهو يصلي في محرابه قائلاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ أن الله يبشرك بولد اسمه يحيى ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدقاً بالكلمة التي ألقاها إلى مريم وهي قول الله لعيسى كن فكان من غير أب ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ سيداً في قومه – أي يحيى – حابساً نفسه عن الشهوات، ولا يتزوج النساء مع القدرة على ذلك – وهو منسوخ في القرآن – ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ويكون نبياً من الأنبياء الصالحين، وهو من تمام البشارة بعد أن بشرها بمولده بشرها بنبوته قبل ولادته.

سورة آل عمران آية رقم 40

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾

فأجاب زكريا جبريل بقوله ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ سيدي كيف يأتي الولد – والرب يطلق على السيد وإن أضيف جاز أن يقال رب الدار ورب الأسرة ورب كل شيء أي مالكه ومستحقه ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ وقد أدركت الهرم وبلغني الكبر ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ وامرأتي عقيم عاقر لا تلد لكبرها في السن – فقد كان عمرها ثمان وتسعين سنة وعمره هو مائة وعشرين سنة فهناك العقم وكبر السن وهما سببان لعدم القدرة على الإنجاب ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ فأجاب جبريل عليه السلام زكريا بقوله أن الله لا يعجزه شيء ولا يعظم عليه أمر فهو يقول للشيء كن فيكون.

سورة آل عمران آية رقم 41

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾

قال زكريا لجبريل سيدي إجعل لي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ قال علامتك على حمل زوجتك عدم القدرة على كلام الناس ثلاث أيام بلياليها إلا بالإشارة ﴿وَٱذْكُر

رَبَّكَ كَثِيرًا ﴾ وأذكر وسبح بلسانك الله عز وجل فإنك لم تُمنع عن ذكر الله ﴿ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ ونزه الله عن صفات النقص في آخر النهار وأوله.

بعد أن تهيأت مريم عليها السلام لتقبل ما أراد الله لها جاءها جبريل عليه السلام ليبلغها ما وسِّد إليها من الله سبحانه وتعالى.

سورة آل عمران آية رقم 42

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

في هذه الآية الكريمة الملائكة تخاطب مريم شفاهة والمقصود هو رئيسهم جبريل عليه السلام يخاطبها بقوله بعد أمر الله له بذلك ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ يا مريم أن الله اصطفاك واختارك واجتباك وطهرك واصطفاك مرة بعد مرة على نساء عالم زمانك.

قال عليه الصلاة والسلام " خير نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد "(1) وقال عليه السلام " خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد" أخرجاه في الصحيحين.

---

(1) ابن كثير ج1 ص 326.

سورة آل عمران آية رقم 43

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

ثم أمرها جبريل عليه السلام بإدامة الطاعة وإطالة الصلاة والإخلاص لله في العبادة.

وقد اعتقد بعض الناس أن مريم نبية بتكليم جبريل لها، والذي عليه جمهور العلماء أنها ليست بنبيه لقوله عز وجل ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾[1] أي أن جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالاً من البشر لا من الملائكة ولا من النساء.

سورة آل عمران آية رقم 44

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

إن تلك الأنباء والأخبار والمغيبات لم تكن لتعلمها يامحمد أنت ولا قومك لولا أنه سبحانه وتعالى أوحاها إليك عن طريق هذا القرآن العظيم ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ وأنك يا محمد لم تكن عندهم لتشاهدهم وهم يختصمون على كفالة مريم ويقترعون على

---

(1) الأنبياء آية رقم 7.

كفالتها ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ وما كنت موجوداً عنـدهم ولم تشاهدهم وهم يختصمون على كفالتها.

تم هذا الباب بحمد الله

الباب السابع

مريم والبشارة بعيسى كلمة الله

عليهما السلام

الباب السابع

مريم والبشارة بعيسى

كلمة الله عليهما السلام

سورة آل عمران آية رقم 45

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يبشر الله سبحانه وتعالى مريم عن طريق ملائكته أنه سيولد لها ولد يكون وجوده بكلمة من الله، أي يقول له كن فيكون.

والمراد هنا بالملائكة هو جبريل عليه السلام والذي كلمها شفاهة والكلمة تطلق على الجملة المفيدة: والجملة المفيدة هنا هي قوله عز وجل "كن فيكون" وهي الكلمةَ التي نزل بها جبريل من عند الله مبشراً بها مريم شفاهة.

وكما يقال: ألقيت إليك كلمة أسرتك، أي أخبرتك وكلمتك بها، وكذلك جبريل عليه السلام أخبر مريم بتلك الكلمة التي هي "كن فيكون" التي نزل بها من عند الله، فحملت بعيسى عليه السلام من غير أب ولا نطفة.

أي أن الله سبحانه سيخلق منك ولداً فلا تتعجبي ولا تتحيري فإن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، ليس لقدرته حدود ولا موانع ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ اسم هذا النبي المسيح عيسى ابن مريم- وسمي

المسيح لأن الله مسحه فطهره من الذنوب، وقيل المسيح الصِّدّيق، وقيل المسيح لكثرة سياحته في الأرض، وقيل أنه إذا مَسَح موضع المرض برئ، وقيل لأنه ممسوح بدهن البركة.

والمسيح عكس المسيخ، يقال مسحة الله أي خلقه خلقاً جميلاً مباركاً، ومسخه الله أي خلقه خلقاً قبيحاً ملعوناً، والمسيخ أيضاً الأعور وبه سمي الدجال وسيأتي معناً إنشاء الله خبر نزول عيسى عليه السلام وقتله للمسيخ الدجال.

ثم نسبه إلى أمة فقال ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ لئلا يكون هناك شبهه أنه ولد مريم، وليس كما أدعت النصاري أنه ولد الله ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ومن البشارة أيضاً أنه عليه السلام ستكون له منزلة رفيعة ومقام عالٍ وشرف عظيم وكرامة في الدنيا والآخرة.

سورة آل عمران آية رقم 46

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

ومن تمام البشارة أنه عليه السلام سيكلم الناس في مهده أي بعد ساعات من ولادته، وسيدعوا إلى عبادة الله وحده في شبابه، وهذا مما يدل على أنه سيعيش إلى أن يصل إلى سن الشباب، وأنه لن يقدر أحد على أن يمسه بسوء.

وبناءاً على ما ذهب إليه سعيد ابن المسيب وزيد ابن أسلم أنه عليه السلام رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثون سنة وأنه سينزل إلى الارض ويبقى فيها أربعاً وعشرين سنة وسنده صحيح.

وادعت فئة من النصارى أنه لم يتكلم في مهده، وأنه لو تكلم لكانوا أعلم الناس به، والصحيح أنه تكلم أمام نفر لم يبلغوا مبلغ التواتر ولما أرادوا التبليغ كُذّبوا فسكتوا.

ولكن بعد أن بَلَغَ القرآن عنه أنه تكلم فليس هناك حجة أقوى من ذلك.

وسيأتي معنا كيفية كلامه عليه السلام وماذا قال أول ما قال في الباب التاسع من مولده عليه السلام.

وهناك أشياء كثيرة أجمع عليها أهل الكتاب جاء القرآن بخلافها.

آل عمران آية رقم 47

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) ﴾

قالت ربِّ أي سيدي – مخاطبة جبريل عليه السلام – والرب يطلق على السيد وإن أضيف جاز أن يقال رب الدار، ورب الأسرة ورب كل شيء أي مالكه ومستحقه وهو الله سبحانه وتعالى والرب مشتق من التربية وهي إصلاح شؤون الغير، والرب يطلق على عدة معانٍ وهي، المالك، والمصلح والمعبود والسيد المطاع.

فقالت مخاطبة جبريل عليه السلام كيف يكون لي ولد ولم أتزوج ولا أنوي الزواج ولا أنا من الزانيات – حاشاها الله – فأجابها جبريل عليه السلام ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إن هذا عن أمر الله وحكمته وإرادته وأنه يخلق ما يشاء وقال هنا يخلق حتى يعلم أن عيسى عليه السلام خلقاً من خلق الله ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ والله سبحانه وتعالى بكلمة كن فيكون يخلق ما شاء مما يشاء وكيف شاء فقدرته سبحانه ليس لها حدود.

الباب الثامن

مولد عيسى عليه السلام

الباب الثامن

مولد عيسى عليه السلام

سورة مريم آية رقم 16

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾

هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ يأمره به أن يبلغ ويعرّف بمريم وقصتها التي ذكرها في كتابه العزيز ليعرفوا كمال قدرته فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ اذكر يا محمد قصة مريم الغريبة العجيبة ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ حين انفردت وتباعدت عن أهلها مكاناً من قبل المشرق للعبادة.

والقرآن لم يتعرض لهذا المكان الذي تنحت إليه مريم، قال المفسرون هو مكان شرقي بيت المقدس. ولذلك اتخذت النصارى المشرق قبله لهم فصلوا قبل مطلع الشمس.

سورة مريم آية رقم 17

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴿١٧﴾ ﴾

فاتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس ﴿ فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾.

فأرسلنا اليها الروح – جبريل وأضيف الى الرب تشريفاً وتكريماً لجبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ﴾ فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق جميل الهيئة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴿١٨﴾ ﴾

فلما رأته خافته وظنت أنه يراودها عن نفسها فقالت إني استجير بالرحمن منك أيها الرجل إن كنت تريد أن تنال مني ما حَرَّمَ عليك، إن كنت تتقيه وتخافه.

سورة مريم آية رقم 19

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴿١٩﴾ ﴾

قال لها جبريل مزيلاً لما حصل عندها من الخوف لست كما تظنين ولكني رسول ربك إليك، ليهب لك غلاماً مطهراً من الذنوب.

سورة مريم آية رقم 20

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

فقالت مريم لجبريل عليهما السلام: كيف يكون لي ولد ولم أتزوج ولا أنوي الزواج وما أنا من الزانيات – حاشاها الله – وقيل ما استبعدت من قدرة الله شيئاً ولكن أرادت معرفة كيف يكون هذا.

سورة مريم آية رقم 21

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾

قال لها جبريل عليه السلام إن الله قال أنه سيوجِد منك ولد وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة، فإن ذلك سهل على الله يسير ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ وليكون دلالة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ ويجعل هذا الغلام رحمةً منه نبياً من الأنبياءَ يدعوا الى عبادته وتوحيده ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ وكان هذا أمراً مقدراً في علم الله تعالى وقدرته ومشيئته، وإن الله عزم على هذا فليس منه بد.

أما بالنسبة لحمل مريم بعيسى عليه السلام فقد دلت آيات من القرآن الكريم أن جبريل عليه السلام نفخ في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت بعيسى عليه السلام في ساعتها، يقول سبحانه وتعالى مخبراً عن ذلك ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴿٩١﴾ ﴾ الانبياء91.

اذكر يا محمد مريم البتول التي أعفت نفسها عن الزواج بالحلال وأعفتها عن فعل الفاحشة فأمرنا – جبريل عليه السلام – فنفخ في جيب درعها فولجت النفخة إلى جوفها فحملت بعيسى عليه السلام من ساعتها،﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ الانبياء 91 وجعلنا مريم مع ولدها عيسى عليهما السلام معجزةً وأعجوبةً للناس وللخلق تدل على قدرتنا وعظمتنا – فإنه سبحانه قادر على أن يقول للشيء كن فيكون – وأضيف الروح – وهو جبريل عليه السلام – إلى الرب تشريفاً وتعظيماً وتكريماً لجبريل عليه السلام.

هذه الآية بعد الآيات التي تكلمت عن نبي الله زكريا وابنه يحيى عليهما السلام لأن تلك مربوطة بهذه فإنها إيجاد ولد من شيخ طعن في السن وامرأة كبيرة عاقر، وإيجاد عيسى عليه السلام من أم بلا أب فإنه سبحانه على ما يشاء قدير، وهما معجزتان من الله سبحانه.

يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴿١٢﴾ ﴾ ومريم ابنة عمران التي حَفِظَت فرجها وصانته وأعفته عن الحلال والحرام ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ فأمرنا جبريل فنفخ في جيب درعها فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ وآمنت بإبنها عيسى عليه السلام أنه نبي مرسل وأنه

كلمة ربها وآمنت بكتب الله جميعاً وبقدرته وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ وكانت من القوم المطيعين العابدين الخاشعين لله رب العالمين.

سورة مريم آية رقم 22

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

فحملت بعيسى عليه السلام ثم تنحت بالحمل الى مكانٍ بعيد.

سورة مريم آية رقم 23

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

فألجأها الطلق وشدة ألم الولادة وأوجاعها إلى جذع لنخلة فاستندت إليه وتعلقت به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق فقالت ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ قالت يا ليتني لم أخلق ولم أكن شيئاً يعرف ولا يذكر قبل هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت.

سورة مريم آية رقم 24

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾

فخاطبها من تحتها بألا تخافي ولا تحزني وأن الله سبحانه قد جعل تحتكِ جدول من الأنهار. قيل أن الذي خاطبها هو جبريل وقيل هو عيسى والصحيح أن القرآن لم يذكر من هو الذي خاطبها.

سورة مريم آية رقم 25

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ ﴾

وهزي جذع النخلة إلى جهتك تتساقط عليك رطباً من النخلة طرية طازجة.

سورة مريم آية رقم 26

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾

فكلي من هذا الرطب الجني واشربي من الجدول السري وقري عيناً برؤية الولد النبي ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴾ ومهما رأيت البشر فأشيري بأنك لن تكلمي أحداً.

وكان الصيام عندهم إمساك عن الكلام كما هو إمساك عن الطعام والشراب، وقد نهى رسول الله ﷺ عن صوم الصمت، فصار ذلك منسوخاً في القرآن، فالصوم في اليهودية إمساك عن الطعام والشراب والكلام، وفي النصرانية إمساكَ عن أكل كل ذي روح وما نتج من ذي روح أما في شريعة محمد ﷺ فإمساكُ عن الطعام والشراب والجنس نصف يوم " أي من طلوع الفجر الصادق حتى مغيب الشمس" ثم يكون لك الحرية في أكل وشرب وجماع في النصف الثاني، وهذا من غير شك أكمل أنواع الصوم.

سورة مريم آية رقم 27

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾

فأتت بولدها عيسى عليه السلام قومها تحمله على يديها فلما رأوها هي وولدها: قالوا يا مريم لقد جئت بأمر عجيب وأحدثت حدثاً عظيماً.

وعندما تسامع بنو إسرائيل الخبر أتوا ليعلموا حقيقة الأمر فاجتمع منهم عدد كبير من النساء والرجال حول مريم وابنها ومدت امرأةً منهم يدها لتضربها على وجهها وقبل أن تهوي تلك اليد على وجه مريم شل الله شطر المرأة وحملوها في الحال مشلولة وقال رجل منهم، ما أراها إلا زنت فأشل الله لسانه في الحال[1]. فقالوا بها مخاطبين

سورة مريم آية رقم 28

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾

يا من كنا نظنك مثل هارون في العبادة والصلاح، عن قتادة رضي الله عنه قال: "كان في ذلك الزمان في بني إسرائيل عابد منقطع إلى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوها إلى أخوته، من حيث كانت على طريقته في الانقطاع وكثرة التعبد لله عز وجل.

---

(1) القرطبي

وهارون هذا ليس هارون أخا موسى، وذلك لأنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين منهم، فقد دل الحديث الصحيح أنه كان بين موسى وأخيه هارون وبين عيسى ابن مريم زمان بعيد.

ففي صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا: أنكم تقرؤون "يا أخت هارون" وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال: "إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم".

﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ لم يكن أبوك رجلاً فاجراً يأتي الفواحش ﴿ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ وما كانت أمك زانية.

سورة مريم آية رقم 29

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾

لم تجبهم مريم عن سؤالهم وتوبيخهم لها، وأشارت إلى ابنها عيسى أن كلموه هو ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾، قالوا متعجبين: كيف نكلم طفلاً رضيعاً لا يزال يتغذى بلبان أمه[1].

---

(1) الصاوي، ج2، ص215

سورة مريم آية رقم 30

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾

فرد عيسى عليه السلام بقوله لهم ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾أنا عبد الله، فأول شيء تكلم به عيسى عليه السلام أن نزه ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه وأنه عبد الله ﴿ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾وقضى يوم قضى أمور خلقه أن يؤتيني الكتاب وهو الأنجيل أي حكم لي بإعطائي الأنجيل في الأزل ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ ومما حكم وقضى من الأزل سبحانه أن يجعلني نبياً.

سورة مريم آية رقم 31

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾

وجعلني ذا بركات ومنافع للدين والدعاء إليه آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأرشد الضال وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف أينما كنت ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة مدة حياتي.

سورة مريم آية رقم 32

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾

وأمرني ببر والدتي بعد طاعة ربي، ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادته وطاعته فاشقى بذلك. قيل لا تجد أحداً عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً.

سورة مريم آية رقم 33

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾

ولي الأمن من الله والسلام منه سبحانه في الدنيا فلا تصل إليَّ أيدي البشر بالأذية وليس للشيطان عليّ سلطان لا عندما ولدت ولا في حياتي، ولا عندما أبعث آخر الزمان.

أي أنه سيموت موتةً طبيعية لا قتلاً ولا صلباً بعد رجوعه إلى الدنيا وقتله الدجال ويوم يبعث يوم القيامة حياً سلام عليه من أهوال يوم القيامة لا فزع ولا خوف، وذلك إثباتٌ لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله وعبد من عبيده يموت ويحيا ويبعث كسائر الخلق ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، وقد أخبره الله عز وجل بما هو كائن من أمره إلى أن يموت عليه السلام.

سورة مريم آية رقم 34

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ ذلك قصصناه عليك من خبر عيسى قول الحق والصدق الذي فيه يمترون ويتجادلون. فقد ادعت اليهود أنه ابن زنا وساحر كذاب وادعت فرقة من النصارى أنه هو الله وفرقة ادعت أنه ولد الله وفرقة قالت أنه ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

فالفرقة الناجية عند الله تؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، نسأل الله عز وجل أن نكون منهم.

سورة مريم آية رقم 35

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾

ما ينبغي لله أن يتخذ ولداً ولا يجوز ولا يصح ذلك له ولا يكون، وما كان من صفته اتخاذ الولد سبحانه تنزيهاً وتبرئةً له أن يكون له ولد﴿ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ إذا أراد شيئاً فإنما يأمر به فيصير كما يشاء فقط يقول له كن فيكون.

هذا لأنه سبحانه إنما ابتدأ خلق عيسى ابتداء وأنشأه إنشاءَ فهو سبحانه يبتدع الأشياء ويخلقها إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه لا يعظم عليه خلقه لأنه يخلق دون معاناة، وكلفة أو معالجةٍ وشدة، فقط يقول له كن فيكون. ومن شأنه سبحانه وتعالى إذا قضى أمراً من الأمور أن يوجده بأسرع وقت. فمن يكون هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وهو من إمارات الاحتياج والنقص ثم خاطبهم بقوله: كما نبأ عن ذلك النظم القرآني.

سورة مريم آية رقم 36

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

إني وإياكم عبيد لله فاعبدوه ولا تعبدوا إلهاً غيره فهذا هو الطريق الصحيح المستقيم، فمن اتبعه هُدي ورشد ونجا، ومن خالفه ضل وغوى.

سورة مريم آية رقم 37

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

فاختلف الأحزاب في أمر المسيح عليه السلام حتى أصبحوا فرقاً فيما بينهم فويل للكافرين من يوم يصيبهم فيه أشد العذاب.

عن قتادة رضي الله عنه قال: ذكر لنا أنه لما رفع عيسى ابن مريم انتخب بنوا إسرائيل أربعةً من فقهائهم، فقالوا للأول – ما تقول في عيسى؟ قال هو الله هبط إلى الأرض فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا ثم صعد إلى السماء فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت اليعقوبية من النصارى، وقال الثلاثة الاخرون نشهد إنك كاذب، فقالوا للثاني ما تقول في عيسى؟ قال هو ابن الله، فتابعه على ذلكَ ناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى، وقال الإثنان الآخران نشهد إنك كاذب، فقالوا للثالث ما تقول في عيسى قال هو إله، وأمه إله، فتابعه على ذلك أناس من الناس فكانت الإسرائيلية من النصارى، وقال الرابع أشهد إنك لكاذب ولكنه عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فاختصم القوم فقال المسلم، أنشدكم بالله ما تعلمون أن عيسى يُطعم وأن الله لا يُطعم الطعام، فقالوا اللهم نعم، ثم قال هل تعلمون أن عيسى كان ينام وان الله لا ينام، فقالوا اللهم نعم، قال فخصمهم المسلم، قال فاقتتل القوم، قال فذكروا لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذٍ وأصيب المسلمون.

سورة مريم آية رقم 38

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

تعجب من سمعهم وإبصارهم يوم القيامة، ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم جدير بأن يتعجب منها لقوتها في السماع والإبصار ورؤية الحق بعد أن كانوا في الدنيا صمًا وعميا ﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ لكن المشركون في الدنيا في ضلال لا يُدرك غايته وبعده حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية.

سورة مريم آية رقم 39

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين يوم القيامة يوم يُفرغ من الحساب أن لا خروج لهؤلاء المشركين من النار، يوم يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار ﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وهم في الدنيا غافلون مكابرون معاندون لا يصدقون ولا يؤمنون.

ففي صحيح مسلم أن رسول الله محمد ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة وأهل النار يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت- قال- ثم يقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون

وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول الله ﷺ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أخرجه البخاري بمعناه عن ابن عمر.

وفي الصحيحين "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده و إنصافه وعدله أن جعل لكل إنسان خُلقَ على وجه الارض مقعدان، مقعد في الجنة ومقعد في النار، فمن آمن الايمان الصحيح وصدَّقه بالعمل الصالح، فله الجنة، ومن كفر بما أمر الله فله النار.

روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "ما من أحدٍ يدخل النار إلا وله مقعد في الجنة، فيتحسر عليه".

سورة مريم آية رقم 40

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق ونحن وارثوا الأرض ومن عليها من الناس بفنائهم منها، وهوعبارة عن توبيخ ووعيد لهم وتخويف من عاقبة معتقداتهم الفاسدة ولحثهم على التوبة فوراً قبل قيامهم من مجلسهم.

الباب التاسع

معجزات عيسى عليه السلام

الباب التاسع

معجزات عيسى عليه السلام

سورة غافر آية رقم 78

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) ﴾

يخاطب الله عز وجل عبده ورسوله محمد ﷺ بقوله. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ لقد أرسلنا قبلك رسلاً كثيرة ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ منهم من أوحينا إليك قصصهم وخبرهم مع أقوامهم ﴿ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ وأكثرهم لم نقصص عليك أخبارهم وأنباءهم ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ﴾ ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات أو بآيات معجزات إلا أن يأذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدق نبوته ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ فإذا جاء عذاب الله ونكاله بمن كذب بالرسل وآياتهم نجي المؤمنون المصدقون وأهلك المكذبون الكافرون.

سورة آل عمران آية رقم 48

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ويعلمُ الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام الكتابة والسداد في القول والتوراة والإنجيل وكان عيسى عليه السلام يحفظ الإثنين معاً.

سورة آل عمران آية رقم 49

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

ورسول مبعوث إلى بني إسرائيل: وتخصيصهم بالذكر للإيذان بخصوص بعثته أو للرد على من زعم انه مبعوث لغيرهم. مخاطباً لهم ﴿ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أني أتيتكم بحجة ودلالة قاطعة من المعجزات على صحة قولي.

﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ اني أصور لكم وأقدر من الطين على صورة الطير أو على شكله ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فانفخ في تلك الصورة فتصبح طيراً باذن الله ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ ، وأشفي الذي ولد أعمى: وقيل هو طويل النظر

أو قصير النظر كما وأشفي الأبرص - وكان شفاءه لهم بدون دواء. وإنما يمسح على موضع المرض فيشفى بإذن الله وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله عز وجل المعجزة بغير ذلك الطب ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وأحيي بعض الموتى بإذن الله: وقد أحيا عليه السلام أربعة أنفس: عازر وكان صديقاً له، وابن العجوز، وبنت العاشر وسام بن نوح ذكره القرطبي وغيره.

من الشيء الملفت للنظر تكرار قول عيسى عليه السلام بعد كل معجزة من المعجزات بإذن الله ليعلم أن تلك المعجزات من الله سبحانه وليس منه هو دفعاً لتوهم الألوهية. ثم أراهم الله عز وجل على يد رسوله عيسى عليه السلام كيف يكون الشفاء من المرض دون دواء حتى لا يتعلق بني إسرائيل بالأسباب، فإنهم كانوا متعلقين بالأسباب أكثر من التوكل على الله، ثم يأتي الإسلام ليربط الإثنين معاً فيقول الرسول ﷺ "تداوو فإن لكل داءٍ دواء" ثم يعلمنا ربنا أن نقول ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ الشعراء ٨٠ أي أن الدواء لا ينفع إلا بعد التوكل على الله لأن الله هو الذي يشفي فهو الذي يضع خاصية الشفاء في الدواء، ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وأخبركم بالمغيبات من أحوالكم وما ادخر أحدكم وأكل في بيته، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، إن تلك المعجزات وخوارق العادات لتدل دلالة واضحة على صدقي إن كنتم مصدقين بآيات الله.

سورة آل عمران آية رقم 50-51

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

ومصدقاً بالكتاب الذي نُزل على موسى وهو التوراة، ومقراً بها أنها من عند الله ومؤيدها ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ ، ولأحل لكم بعض ما كان محرماً عليكم في شريعة موسى.

قال ابن كثير: وفيه دليل على أن عيسى نسخ بعض شريعة التوراة ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾وجئتكم بحجة ودلالة قاطعة من المعجزات على صحة قولي وصدقي. ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾فخافوا الله وأطيعون فيما آمركم به ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ إن الله ربي كما هو ربكم أنا وأنتم في العبودية له سواء والخضوع والاستكانة ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ هذا المعتقد هو الطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه.

ونحن نطلب من الله سبحانه وتعالى في كل صلاة نصليها أن يهدينا إلى الصراط المستقيم بقولنا ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ الفاتحة: ٦ أي إلى هذا المعتقد الصحيح والحق المبين.

فصل

سورة المائد آية رقم 110

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

يمتن الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام بما أجراه على يديه من المعجزات الباهرات وخوارق العادات بقوله عز وجل لعيسى عليه السلام ﴿ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾ وذلك إظهاراً لأمر عيسى عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه وتعالى اعتداداً بها وبذكرها على رؤوس الأشهاد ليكون حكاية ذلك على ما أنبأ عنه القرآن الكريم توبيخاً لليهود والنصارى المختلفين بشأنه عليه السلام وإبطالاً لقولهما معاً[1]. قال ابن كثير: أي أذكر نعمتي عليك في خلقي إياك من أم بلا ذكر وجعلي إياك آية ودلالة قاطعة على كمال قدرتي على الأشياء وعلى والدتك حيث جعلتك لها برهاناً على براءتها مما نسبه إليها الظالمون الجاهلون من

(1) تفسير الألوسي.

الفاحشة[1]. ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾. حين قويتك بالروح المقدسة الطاهرة "جبريل" عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ تكلم الناس في المهد صبياً وتدعوا إلى عبادة الله في كهولتك ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ واذكر نعمتي عليك حين علمتك الكتابة والخط والفهم والتوراة والإنجيل ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾ واذكر أيضا حين كنت تصور وتشكل الطين على شكل طائر بإذني لك في ذلك وأمري ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾ فتنفخ في ذلك الطين الذي صورته على شكل طائر فيكون طيراً ذا روح بإذني لك في ذلك ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى﴾ وتشفي الذي ولد أعمى: وقيل هو قصير النظر أو طويل النظر، وتشفي الأبرص بإذني لك في ذلك وأمري ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ وتحيي الموتى بإذني لك في ذلك.

وجاء لفظ "بإذني" مكرراً بعد كل معجزة من المعجزات رداً على من ألّه عيسى عليه السلام، ولبيان أن تلك المعجزات من جهته سبحانه أيد بها عبده ورسوله عيسى عليه السلام وأظهرها على يديه.

---

(1) ابن كثير، 1/ 561.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ واذكر نعمتي عليك إذ منعت بني اسرائيل من قتلك حينما جئتهم بالبراهين والمعجزات أنك رسول الله.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فقال الذين كذبوك وجحدوا نبوتك ما هذه المعجزات إلا سحر ظاهر واضح.

فصل

هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة فيقال سورة المائدة وهي معجزة من الله سبحانه وتعالى أنعمها على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، استجابة لدعائه وآية من الله يقول تبارك وتعالى:

سورة المائدة آية رقم 112

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

واذكر يا محمد حين قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يقدر ربك على إنزال مائدة من السماء علينا.

قال القرطبي وكان هذا السؤال في ابتداء أمرهم قبل استحكام معرفتهم بالله عز وجل ويجوز أن يكون ذلك صدر ممن كان معهم من الجهال. ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قال: راقبوا الله وخافوا أن يُنزل بكم نقمته إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى.

سورة المائدة آية رقم 113

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

قال الحواريون: إنما قلنا ذلك وسألناك نزول المائدة لنأكل منها تبركاً، وتسكن قلوبنا ونفوسنا بزيادة اليقين ﴿ وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ ونعلم أنك لم تكذبنا في خبرك أنك رسول مبعوث وأنك صادق في الذي تقول ونكون على المائدة ممن يشهد أن الله أنزلها حجةً لنفسه على توحيده وقدرته.

سورة المائدة آية رقم 114

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

أجاب عيسى عليه السلام قومه إلى ما سألوه من تنزيل المائدة عليهم من السماء، وذلك لما رأى أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك فقام عليه السلام وألقى عنه الصوف ولبس الشعر الأسود ثم توضأ واغتسل ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله تعالى فلما قضى صلاته دعا ربه فقال ﴿ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ ﴾ نادى عيسى عليه السلام ربه مرتين مرةً بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات، ومرةً بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهاراً لغاية التضرع وإفراداً لله سبحانه

وتعالى باللوهية والربوبية ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أنزل من السماء سفرةً علينا ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ يأكل منها أول الناس وآخرهم ونتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً ﴿وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ واجعل هذه المائدة آيةً منك على قدرتك وعظمتك وصحة نبوتي ورسالتي وارزقنا الشكر عليها فإنك خير من يعطي ويرزق أجاب الله دعاءَ عيسى عليه السلام بقوله سبحانه ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴿١١٥﴾﴾ إني منزلها عليكم مرات عديدة كما ينبئ عن ذلك صيغة التفعيل ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ويخالف أمري فيما أمرته ونهيته فسوف أعذبه عذاباً شديداً لا أعذبه لأحد في عالم زمانه.

نزلت المائدة من السماء فدعا لها المرضى والمساكين والفقراء وقال كلوا من رزق ربكم ودعوة نبيكم واحمدوا الله الذي أنزلها لكم، ففعلوا فأكل منها أناس كثير، ولما كفر بعض هؤلاء مسخهم الله قردةً وخنازير[1]. انتهى

---

(1) ابن كثير، 1/ 561.

فصل

سورة الصف أية رقم 6

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

واذكر يا محمد خبر عيسى ابن مريم عندما خاطب بني إسرائيل بقوله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم ﴾ يابني اسرائيل إني رسول بعثني الله إليكم ﴿ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ مصدقاً بالتوراة عاملاً بها مؤمناً بها وقد أحل لبني إسرائيل أشياء كانت قد حرمت عليهم، وهو دليل النسخ ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ وأبشر أنه سيأتي من بعدي رسول يسمى أحمد.

ومعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه، والأنبياء كلهم حامدون لله، ونبينا محمد أكثرهم حمداً، فالمحمد هو الذي حمد مرةً بعد مرةً، والأنبياء لم تزل تنتعه وتحكيه في كتبها على أمتها وتأمرهم باتباعه ونصرته ومؤازرته إذا بُعث. وكان ما اشتهر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام أبي الأنبياء حين دعا لأهل مكة أن يبعث فيهم رسولاً منهم.

وكذا على لسان عيسى ابن مريم حين بشر به، وقال عليه السلام "إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحوا الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب" رواه الشيخان.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فلما جاءهم الرسول المبشر به "وهو محمد" في الأعاصر المتقدمة المنوه به في القرون السالفة قال الكفرة والمخالفون إن هذا إلا سحر عظيم.

هذه معجزةٌ أخبر بها عيسى عليه السلام قومه وقد تحققت، وهي من المغيبات التي هي من معجزاته عليه السلام، وقد بلغتنا هذه الأخبار عن طريق القرآن الكريم الذي فيه خبر من قبلنا ونبأ من بعدنا.

انتهى الباب التاسع بحمد الله.

الباب العاشر

ذكر تأييد عيسى عليه السلام بروح القدس

الباب العاشر

ذكر تأييد عيسى عليه السلام بروح القدس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، قائد الغر الميامين، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

لم يبعث الله سبحانه وتعالى أنبياء بقدر ما بعث لبني إسرائيل وقد ذكرنا فيما مضى أن كل الأنبياء بعثوا لبني إسرائيل إلا عشرة ولقد ذكرناهم بالإسم.

وكان آخر رسول بعث لبني إسرائيل سيدنا عيسى عليه السلام فكفروا به ولم يصدقوه إلى قليلاً منهم فأيده الله بالآيات الدالة على صدق نبوته وأيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه والسلام.

وفي هذا الباب الحديث عن روح القدس وأن المقصود بروح القدس هو جبريل عليه السلام من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ.

وقد جاء عيسى عليه السلام ليثبت شريعة موسى ونسخ منها ما هو صعب ليضع الأيسر والأسهل لبني إسرائيل وجاء بالإنجيل فيه الهدى والنور وهو امتداد للتوراة.

ثم جاء هذا القرآن العظيم يحث على الإيمان بالتوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى فإن القرآن الكريم جامع لشتات هذه الكتب السماوية المتقدمة ولكنها بنظم قرآني يتناسب مع الإعجاز لا يتبدل ولا يتغير مع الأزمنة والعصور.

وفي هذا كله اختبار وامتحان من الله سبحانه لعباده حتى يعلم من يمتثل لأمره ومن يعصيه.

وقد نزل هذا القرآن بالأحكام التي تخص البشر، ليتحاكموا إليه في منازعاتهم ومشاجراتهم، وما نزلت هذه الشريعة الغراء إلا لإسعاد الخلق، لأن الله غني عن العالمين ولكن أكثر الناس فسقوا ورفضوا هذا الكتاب والتحاكم إليه.

ثم ذكر الله سبحانه أن أكثر من يدخل في دين الإسلام هم النصارى لأنهم أقرب الناس لهذا الدين الحنيف.

سورة البقرة آية رقم 87

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

يبكت الله سبحانه وتعالى الكفار من بني اسرائيل ويوبخهم على عدم إتباع رسلهم بقوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ لقد أعطينا موسى التوراة ﴿ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ ﴾ واتبعنا من بعد موسى رسلاً كثيرة ﴿ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ وأعطينا عيسى ابن مريم المعجزات الدالة على صدق نبوته ﴿ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ﴾ وقويناه وشددنا أزره بروح القدس أي بالروح الطاهرة المقدسة وهو جبريل عليه السلام

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ﴾ أفكلما أتاكم رسول بما لا يوافق هواكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ تكبرتم عليه وعلى إتباعه ففريقاً من هؤلاء الرسل قتلتموهم وفريقاً كذبتموهم.

دليل أن روح القدس هو جبريل من القرآن قوله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] قل يا محمد إنما نزّل القرآن عليَّ روح القدس وهو جبريل عليه السلام من عند الله بالصدق والعدل ليثبت المؤمنين فيزدادوا إيماناً وهدى وبشرى للمسلمين، ومن المعلوم أن الذي نَزَل بالقرآن على الرسول محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام بإذن من ربه، بدليل أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2] قل لهم يا محمد من كان عدواً لجبريل فإنه عدو لله، لأن جبريل الروح الطاهرة المقدسة عليه السلام نزّل هذا القرآن على قلبك يا محمد بأمر من الله تعالى مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية وفيه الهداية الكاملة والبشارة السارة للمؤمنين بجنان النعيم.[3]

---

(1) النحل آية رقم 102.

(2) البقرة آية رقم 97.

(3) تفسير الصابرين ج1 ص80

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ الشعراء 192 أي أن هذا القرآن تنزيل من رب العالمين رب الأرباب الرحيم﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ ﴾ الشعراء193 نزل به جبريل الروح المطهرة المقدسة أمين السماء ﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء194 على قلبك يا محمد لتحفظه وتنذر به المكذبين.

ومما يدل على أن روح القدس هو جبريل من السنة عن أبي هريرة: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد فكان ينافح عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ " اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك" فهذا من البخاري تعليقاً.

وفي الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك الله اسمعت رسول الله ﷺ يقول " أجب عني اللهم أيده بروح القدس" فقال اللهم نعم.

وفي بعض الروايات أن رسول الله ﷺ قال لحسان " أهجهم – أو هاجهم– وجبريل معك".

وفي شعر حسان قوله:

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء[1]

(1) ابن كثير التفسير ج1 ص122

ذكر أنه جاءَ نفر من اليهود إلى رسول الله محمد ﷺ وقالوا أخبرنا عن الروح قال" أنشدكم الله وبأيامه عند بني إسرائيل هل تعلمون أن جبريل هو الذي يأتيني" قالوا نعم [1].

وفي صحيح ابن حيان عن ابن مسعود أن رسول الله محمد ﷺ قال" إن روح القدس نفت في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب" [2].

سورة المائدة آية رقم 46.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى أنه اتبع وأردف من بعد الرسل الكثيرة التي بعثها لبني إسرائيل عيسى ابن مريم ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ مصدقاً بالتوراة عاملاً بها ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ وأعطيناه وأنزلنا عليه الإنجيل فيه هدى ونور يستضاءَ به ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ومصدقاً بالتوراة ومؤيداً أنها من عند الله أعاد تكرار الأية وذلك للتشديد على أمر

---

(1) ابن كثير التفسير ج1 ص123

(2) ابن كثير التفسير ج1 123.

التصـديق والتأييـد ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وهاديـاً وواعظـا لمـن أراد الهداية والتقوى.

سورة المائدة آية رقم 47

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

وليحكم من آمن بالإنجيل أنه كتاب منزل من عند الله بما فيه من أحكام وبشارات: ومما فيه بشارة عيسى بمحمد عليه السلام يقول سبحانه وتعالى مخبراً عن ذلك ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ الصف6 وأذكر يا محمد خبر عيسى ابن مريم عندما خاطب بني اسرائيل بقوله إني رسول الله بعثني الله إليكم مصدقاً بالتوراة عاملاً بها وأبشر أنه سيأتي بعدي رسول يسمى أحمد، فلما جاءهم الرسول المبشر به في العصور المتقدمة المنوه به في القرون السالفة قال الكفرة والمخالفون إن هذا إلا سحر عظيم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ المائدة 47 ومن لم يحكم بحكم الله وبما أنزل على رسله فهم المتمردون الخارجون عن الايمان وطاعة الرحمان.

مضمون الآية أن الله سبحانه وتعالى يحث أهـل الكتـاب علـى الإيمـان برسوله محمد ﷺ وهو من حكم الإنجيل الذي أمـرهم الله سـبحانه وتعـالى أن

يحكموا به وحين ظهوره اتبعوا هداه وهذه الآية من الآيات التي كتمها علماء بني إسرائيل ولم يبينوها لشعوبهم.

سورة المائدة آية رقم 48

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

وأنزلنا إليك يا محمد القرآن بالحق والصدق الذي لا مرية ولا شك فيه ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ مصدقاً لما سبقه من الكتب السماوية ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ شهيداً عليها، حافظاً لها، رقيباً على سائر الكتب السماوية أي أن القرآن أميناً على صحة الكتب السماوية فيما إذا أخبر أهل الكتاب في كتابهم بأمر إن كان في القرآن فصدقوه وإذا خالف القرآن فكذبوه وإن لم يكن هذا ولا ذاك فكلوه إلى عالمه، فقد جمع الله في القرآن محاسن ما قبله وزاده من الكملات ما ليس في غيره[1] ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فاحكم يا محمد بين الناس بهذا القرآن الذي أنزله الله

---

(1) مختصر ابن كثير 1/ 524

إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ ولا تعرض عن الكتاب الذي أنزله الله إليها لتوافق أهـواء هـؤلاء الفاسـدين الجـاهلين ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ لكل أمةٍ مضت جعلنا شرعةً وسبيلاً وسنَّة وأحكاماً يحتكمون إليه والسنن والشرائع تختلف من زمن إلى زمـن ومـن أمـة إلى أمـة، فالتوراة شريعة أدت مهمتها والإنجيـل شـريعة أدت مهمتهـا والقـرآن شـريعة متمم للشرائع التي سبقته وليس منكرها، فالله سبحانه يحل ما يشاء ويحـرم مـا يشاء ابتلاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والناس جميعاً مـأمورون بإتبـاع آخـر الشرائع، الباقية إلى يوم القيامة.

ولكن أصل الدين واحد الذي لا يقبل الله غيره، وهـو الإيمـان بـأن الله واحد والإيمان برسـله وبكتبـه وملائكتـه وبـالآخره ومـا تضـمنته مـن المعـاد والجزاء، وهو ما حث عليه دين الأسـلام ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ولوشاء الله لجعل شرائعكم ومناهجكم واحده ولكنه سـبحانه خـالف بـين شـرائعكم ومنـاهجكم ليختـبركم، فيعـرف المطيـع مـنكم مـن العاصـي ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ﴾ فبادروا أيهـا النـاس إلى طاعـة الله وأتبـاع شـرعه و العمـــل الصـــالح ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ إلى الله مصيركم ومرجعكم جميعاً فيخبر كل فريق مـنكم بأعمالـه ثم يجازيه عليها، فاستبقوا طاعة ربكم بإتباع شرعه الذي هو متمم لما سبقه من

الشرائع، فإنه إليه معادكم فيخبركم فيما اختلفتم فيه فيجازي الصالحين ويعذب الكافرين.

فالقرآن الكريم يحمي الكتب السماوية من أن يضاف إليها شيء بغير حق، ويبين ما أخفي منها، وينفي عنها الزوائد، ويتحدى من يدعي وجودها في تلك الكتب يقول تعالى ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[1] كما كان من مهمته أن يبين ما كتموه منها ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

فالقرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية إلى البشرية، وقد ضمَّنه الله ما فيه صلاح البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وما كان صالحاً للبقاء من الكتب السامية السابقة أقره الله في القرآن، ونص عليه بعينه، على أن يكون العمل به لأنه من أحكام القرآن، لامن الكتب السماوية السابقة.

---

(1) آل عمران 93.

(2) المائدة 15.

فالخالق جل وعلا حينما عدد شرائعه لخلقه وضع لكل أمة ما يصلح لها بسبب ظروفها، وما هو لمصلحتها، حتى جاء الإسلام فجمع الله فيه حاجة البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد جاء القرآن ليُعدِّل أحكام التوراة والإنجيل إذ أعلن أن محمد ﷺ جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث.

ولكن هذا التعديل وهذا الإقرار على ضربين: تشريعات خالدة كلها صدق وعدل لا تتبدل بتبدل الأوضاع والأزمنة كالوصايا العشر التي وصى بها أنبياء الله أقوامهم وهي:

1. توحيد الله وعدم الإشراك به.
2. الإحسان للوالدين وإن كانا كافرين.
3. عدم قتل الأولاد من شدة الفقر أو من العار.
4. الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهي تشمل كل الفواحش من الزنا والسرقة والسحر وقول الزور وأكل المال المحرم وكل عمل دنيء لا تقبله الفطرة الإنسانية.
5. تحريم قتل النفس التي حرم الله.
6. عدم أكل أموال اليتامى ظلماً.
7. الوفاء بالكيل والميزان.
8. والعدل في الحكم.
9. والوفاء بالعهد.
10. إتباع الإسلام فهذا مما صدقه القرآن وأقره الشرع فما من شريعة أتت إلا حثت أتباعها بالابتعاد عن الرذائل والتمسك بالفضائل.

وأما الضرب الثاني وهي تشريعات مؤقتة تنتهي بانتهاء وقتها وتأتي الشريعة التالية بما هو أفضل للأوضاع الناشئة والطارئة حتى ختمت بشريعة محمد ﷺ التي كملت الشرائع واتمتها والتي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فهذا ربط بين العنصرين عنصر الاستمرار بين القديم والجديد وعنصر الإنشاءَ والتجديد للمستقبل الأفضل.

فالأسس الثابتة أرستها الشرائع السالفة ثم يزيد الله عليها ما شاء زيادته فمثلاً شريعة موسى عليه السلام غلب عليها طابع الحقوق وطلب العدل والمساواة لاتقتل لا تسرق ثم تجيء شريعة عيسى عليه السلام فَتُقِرُّ هذه المبادئ وتزيد عليها وترقى إلى الأفضل " لا تراء الناس بفعل الخير" "أحسن إلى من أساء إليك" ثم تجيء شريعة القرآن فنراها تقرر المبدأين معاً في نسق واحد ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] ويقول تعالى ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] ويقول تعالى ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[3] وصدق الله إذ

---

(1) النحل آية 90.

(2) الشورى آية 40.

(3) النحل آية 126.

رسول محمد ﷺ ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1] وصدق الله إذ يصف رسوله أنه إتماماً للنعمة وإكمالاً للدين ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴿٣﴾ ﴾[2]

وصدق رسول الله محمد ﷺ حين يقول "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسن وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"[3]

سورة المائدة آية رقم 49

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

تأكيد من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد – ﷺ – لما سبق ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ أحكم يا محمد بين المتحاكمين إليك من أهل الكتاب وغيرهم بالقرآن الذي أنزله الله إليك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ ولا توافق أهواء هؤلاء الضالين الفاسدين ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ

---

(1) الصافات آية 37.

(2) المائدة آية رقم 3.

(3) البخاري.

﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾ واحذر هذه الفئة الضالة من الناس أن يفتنوك أو يصرفوك عن الحكم بهذا القرآن وبهذه الشريعة الغراء التي أنزلها الله إليك، أي أحكم بالشريعة الإسلامية ولا تنحرف عنها ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ فإن انكروا هذه الشريعة وهذا القرآن وأبوا التحاكم إليه فاعلم يا محمد أن الله سيعذبهم ويعاقبهم على إنكارهم هذا ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ وإن أكثر الناس عاصون لربهم مخالفون لأمره.

وليس معنى هذا أن يكلفوا التكاليف التعبدية للمسلمين ولا التنازل عما يعتقدون حله في دينهم كما في الزواج والطلاق وأكل لحم الخنزير وشرب الخمر فالإسلام يقرهم على ما يعتقدون حله، ولا يتعرض لهم في ذلك على ألا يظاهروا به، أما إذا رضوا بالاحتكام إلى شرع الإسلام في هذه الأمور حكمنا فيهم بحكم الإسلام، ويرى بعض الفقهاء أننا مخيرون إذا احتكموا إلينا إما أن نحكم بشرعنا أو أن نترك فلا نحكم بشيء لقوله تعالى ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ ﴾ وفيما عدا ذلك يلزمهم أن يتقيدوا بأحكام الشريعة الإسلامية إذا كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية في النواحي الجنائية مثل السرقة والقتل وقطع الطريق والتعدي، ومثل ذلك في المعاملات المالية والمدنية من البيوع والإجارات والشركات والرهن والمزارعة والحوالة والكفالة وغيرها من العقود

والتصرفات التي يتبادل الناس بواسطتها الأموال والمنافع وتنظم بها شؤون المعاش فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، أما الربا فهو محرم علينا وعليهم فلا يقرون عليه، وأما الزنا فيرى الإمام أبو حنيفة أن عقوبتهم فيه هو الجلد ابداً لا الرجم، لأنه يشترط في العقوبة المغلطة الإسلام، ومن هنا كان لأهل الذمة محاكمهم الخاصة بهم يحتكمون إليها، إن شاءوا وإلا لجأوا إلى القضاء الإسلامي يقول المؤرخ الألماني آدم متز في كتابه عن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لما كان الشرع الإسلامي خاصاً بالمسلمين فقد خلت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى ومحاكمهم الخاصة بهم، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كنسيه، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاةِ أيضاً وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحكامها على مسائل الزواج، بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص النصارى وحدهم مما لا شأن للدولة به وعلى أنه يجوز لهم أن يلجأوا إلى المحاكم الإسلامية، ولم تكن الكنائس بطبيعة الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا، ولذلك ألف الجاثلين تيمونيس حوالي عام(200هـ - 800 م) كتاباً في الأحكام القضائية النصرانية، لكي يقطع كل علة يتعلل به النصارى الذين يلجأون إلى المحاكم غير النصرانية بدعوا فقدان القوانين النصرانية.

- سورة الحديد آية رقم 26

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى أنه أرسل نوحاً وإبراهيم وجعل النبوة في نسلهما وذلك ليس جميع نسله إنما بعض ذريتهما الأنبياء وبعضهم يتلون الكتب المنزلة فمنهم من أحب الهدى واستمسك به وكثيراً منهم آثر المعصية على الطاعة والكفر والفسوق على الايمان.

سورة الحديد آية رقم 27

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

ثم أتبعنا من بعد نوح وإبراهيم عليهما السلام رسلاً كثيرة وجميعهم من نسل نوح وإبراهيم ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ وأتبعنا بعد هؤلاء الرسل الكثيرة عيسى ابن مريم – عليه السلام ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ وأعطيناه الانجيل ﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ وجعلنا في قلوب من أتبعه على شريعته وعلى منهاجه – وهم أنصاره وحواريه – رأفة ورحمة عظيمة بالناس وجعل في قلوبهم رهبة وخوف شديد فمنهم من لا ينام على فرش دثيرة ولا يعمل للدنيا وحرم نفسه من متاع الدنيا اجتهاداً منه هو لرضى الله ﴿ ٱبْتَدَعُوهَا ﴾ اختلقوها وصنعوها لأنفسهم ﴿ مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ لم نأمرهم بها ولم نفترضها عليهم[1] ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾

(1) القرطبي ج 17 ص 213

وما فعلوا هذا إلا لنيل وطلب رضي الله سبحانه وتعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ فكلفوا أنفسهم ما لا تطيق فلم يستطيعوا متابعتها ورعايتها حق الرعاية ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ فأعطينا الذين أمنوا من هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية ثوابهم عليها ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وأكثرهم فسقوا وكفروا ولم يؤمنوا بالرسول الذي جاء بعد هؤلاء الرسل جميعاً.

والتبتل منهي عنه في القرآن يقول تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾﴾ معنى التبتل عدم تزوج النساءَ وفي صحيح مسلم أن عثمان رضي الله عنه أراد أن يتبتل فنهاه رسول الله ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام " النكاح من سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاءٌ" رواه مسلم.

وقال عليه السلام" إذا مات ابن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث وذكر منها " أو ولد صالح يدعوا له"

وهذا دعاءَ رسول الله محمد ﷺ لأنس بن مالك " اللهم أكثر ماله وولده وباركْ له فيما أعطيته".

انتهي الباب العاشر:- بحمده وكرمه

الباب الحادي عشر

ذكر نفي الصلب وأن الله نجاه

وشبه لهم غيره

الباب الحادي عشر

ذكر نفي الصلب وان الله نجاه وشبه لهم غيره

سورة النساء آية رقم 157

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾

بعد ما وصف الله سبحانه وتعالى اليهود في الآية السابقة بنقض العهود والمواثيق وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا في غطاء فلا نفقه ما تقول، وبفريتهم على مريم وصلبوه وقذفهم إياها بالزنا، يّدّعي اليهود في هذه الآية أنهم قتلوا عيسى بن مريم يقول الله سبحانه وتعالى مخبراً عنهم ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ وقولهم- أي اليهود – إنا قتلنا هذا الذي يدعي أنه رسول الله – ووصفوه برسول الله تهكماً به وبدعوته وسخرية منه – فيرد الله عليهم بقوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وما قتلوا عيسى وما صلبوه ولكن قتلوا من ألقي عليه شبهه وصلبوه.

قال البيضاوي: روي أن رجلاً كان ينافق لعيسى فخرج ليدل عليه فألقى الله عليه شبهه فأخذ وصلب وهم يظنون أنه عيسى[1] ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾ وإن الذين اختلفوا في شأن عيسى لفي شك من قتله- روي أنه لما رفع عيسى وألقي شبهه على غيره فقتلوه قالوا: إن كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا؟ وإن كان هذا صاحبنا فأين عيسى؟ فاختلفوا من كان المقتول[2] ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ما لهم بقتله علم حقيقي ولكنهم يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين.

سورة النساء آية رقم 158

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾

بل رفعه الله إليه بجسده وروحه إلى السماء حياً والله عزيزٌ في ملكه حكيمٌ في تدبير شؤون خلقه[3] . روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية" ومعنى يضع الجزية: أي يلغيها فلا يقبلها فإما الإسلام وإما القتل.

---

(1) البيضاوي، ص141.

(2) التسهيل لعلوم التنزيل، 1/ 163.

(3) صفوة التفاسير للصابون، 1/ 317.

سورة النساء آية رقم 159

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

وليس أحد من اليهود والنصارى إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله حين يعاين ملائكة الموت ولكن لاينفعه إيمانه، لأنه حين التلبس بالموت فاليهودي الذي كان يقول أن عيسى ساحر وابن زنا يرجع عن ذلك ويؤمن بأن عيسى نبي مرسل وأمه صِدّيقة.

والنصراني الذي كان يقول أنه ابن الله يرجع عن ذلك ويؤمن بأن عيسى عبد الله ورسوله.

وقيل أن الهائين عائدة لعيسى عليه السلام، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام إلا ليؤمنن به قبل أن يموت – أي بعيسى عليه السلام – وذلك عند نزوله عليه السلام وقتله الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام.

ولا تعارض بين القولين.

وما أحسن ما قاله الشيخ شهاب الدين القرافي في شعره:

عجباً للمسيح بين النصارى ... وإلى الله ولداً نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا ... أنهم بعد قتله صلبوه

فإن كان ما تقولون حقاً ... وصحيحاً فأين كان أبوه

حين خلا ابنه رهين الأعادي ... أتراهم أرضوه أم أغضبوه

الباب الثاني عشر

رفع عيسى عليه السلام

الباب الثاني عشر

رفع عيسى عليه السلام

سورة آل عمران آية رقم 55

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

يخاطب الله سبحانه وتعالى عبده ورسوله عيسى عليه السلام بقوله ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ قال أكثر المفسرون المراد بالوفاة هنا النوم.

فإن الوفاة تؤدي معنى النوم وهي الموتة الصغرى وتؤدي معنى الموت وهي الموتة الكبرى، وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين الوفاتين الصغرى والكبرى في هاتين الآيتين ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴿٦٠﴾ ﴾[1] ، أي أنه سبحانه يتوفى عباده في منامهم بالليل وهذا هو التوفي الأصغر وقوله سبحانه ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[2] .

أي إذا احتضر أحدكم وحان أجله توفته ملائكة موكلون بذلك وهي الوفاة الكبرى.

---

(1) سورة النعام آية رقم 60.

(2) سورة النعام آية رقم 61.

ويقول تبارك وتعالى ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]

في هذه الآية ذكر الله سبحانه وتعالى الموتة الكبرى ثم الصغرى ومعناها أن الله يتوفى النفس على وجهين "أحدهما وفاةً كاملة حقيقية وهي الموت والأخرى وفاة النوم كما جاءَ في الآية.

قال رسول الله ﷺ "اذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخله إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن امسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين"[2].

ومما يؤيد عدم موته الموتة الكبرى – أي عيسى عليه السلام – قول الرسول محمد عليه السلام لليهود "إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة"[3].

﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أي ورافعك إلى السماء بعد منامك ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ ومخلصك من شر كفار قومك الذين دبروا لإغتيالكَ – ووصفهم بأنهم نجس – ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ

---

(1) سورة الزمر آية رقم 42

(2) رواه البخاري ومسلم.

(3) كثير ص 366، ج1.

﴿ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ وجاعل اتباعك الـذين آمنـوا بـك " مـن النصـارى والمسلمين[1] منتصرين على من لم يؤمنـوا بـكَ مـن اليهـود يعلـونهم بالحجـة والسيف إلى يـوم القيامـة ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ ثم مصيركم إليّ فأحكم بين جميعكم فيما اختلفتم فيه من أمر المسيح.

سورة آل عمران آية رقم 56

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

فأما الـذين كفـروا وجحـدوا نبوتـك ورسـالتك وخـالفوا أمـرك فـإني معذبهم عذاباً شديداً في الدنيا بالقتل وبالآخرة بالنار وليس لهم ناصـر أو مـن يدفع عنهم هذا العذاب العظيم.

سورة آل عمران آية رقم 57

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وأما المؤمنون فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة أجوراً كاملةً غير منقوصة لأن الله لا يحب الظالمين.

---

(1) تفسير الجلالين، تحت الآية

سورة آل عمران آية رقم 58

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

تلك الأخبار والأنباء نقرؤها عليك ونعلمك إياها عن طريق هذا القرآن العظيم، والخطاب لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

فصل

تمثيل عيسى بآدم في خلقه عليهم السلام

سورة آل عمران آية رقم 59

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾

إن مثل عيسى في قدرة الله حيث خلقه من غير أب، كمثل آدم حيث خلقه من غير أبٍ ولا أم، بل خلقه من تراب ثم قال له كن فكان – أي آدم عليه السلام.

فالذي خلق آدم عليه السلام من غير أبٍ ولا أم قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى من غير أب.

فالله سبحانه وتعالى أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية الناس من ذكرٍ وأنثى، وهكذا تمت القسمة الرباعية بحكمته وقدرته.

سورة آل عمران آية رقم 60

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

هذا هو النبأ الصحيح وهذا هو الحق من خبر عيسى، فلا تكن من الشاكين.

فصل

ذكر المباهله

سورة آل عمران آية رقم 61

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

فمن جادلك في أمر المسيح بعدما تبين الحق ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾فقل هلموا نجتمع ويدعوا كل منّا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة، ففي صحيح مسلم لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ثم ندعوا الله ونتضرع إليه بأن يجعل اللعنة تنزل على الكاذب في شأن عيسى، فامتنعوا ولم يقبلوا دعوة الرسول وأقروا بالجزية. وذلك عندما جاءه وفد من نصارى نجران،

وقيل أن عددهم 60 رجلاً، وكان فيهم ثلاثة من أمرائهم وعلمائهم وأحبارهم، وهم العاقب أمير القوم واسمه عبد المسيح، والسيل صاحب رحلهم وأبو حارثة ابن علقمة حبرهم ومعلمهم، وكان الملوك قد أغدقوا عليه الهدايا ومولوه وبنو له المدارس والكنائس وأكرموه، وعندما توجه أبو حارثة إلى رسول الله محمد ﷺ وهو راكب بغلته وأردف أخوه كرز ورائه عثرت البغلة فقال أخوه كرز تعس محمد، فقال له أخوه ابن حارثة بل أنت تعست، فقال كرز ولم يا أخي فقال أبو حارث والله إنه النبي الذي كنا ننتظره، فقال له أخوه كرز ولم لا تُسَّلم إذن، فقال أبو حارثة وماذا أفعل بالملوك الذين أغدقوا عليّ كل هذه النعم، فأسلم أخوه كرز بعد ذلك.

فلما دخلوا على رسول الله ﷺ مسجده وجاء وقت صلاتهم قاموا يصلون في مسجد رسول الله فأراد الناس منعهم، فقال عليه السلام دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم.

وروى البخاري جاء العاقب والسيد صاحب نجران إلى رسول الله محمد ﷺ يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه لا تفعل فوا الله لئن فعلنا "لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا: إنا نعفيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلاّ أميناً، فقال: " لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقاً أمين".

فاستشرق لها أصحاب رسول الله ﷺ وقال: " قم يا أبا عبيدة بن الجراح" فلما قام قال رسول الله ﷺ "هذا أمين هذه الأمة" رواه البخاري ومسلم.

وروى البخاري عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً. وقيل أنه عندما أراد رسول الله ﷺ أن

يلاعن العاقب والسيد أتى من الغداة وهو آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين[1] ولكنهم رفضوا ملاعنته.

سورة آل عمران آية رقم 62

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾

إن هذا الذي قصصناه عليك يا محمد من شأن عيسى هو الحق الذي لا شك فيه ولا محيد، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴾وأن الله سبحانه وتعالى لا إله غيره ولا معبود سواه، وهو رد على النصارى ممن دعوا بالتثليث ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

والله عزيز في انتقامه ممن عصاه، حكيم في تدبيره لشؤون خلقه.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج1، ص 370

الباب الثالث عشر

دحض حجج النصارى بتأليه عيسى عليه السلام

الباب الثالث عشر

دحض حجج النصارى بتأليه عيسى عليه السلام

سورة المائدة آية رقم 116

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾

يخاطب الله عز وجل عبده ورسوله عيسى عليه السلام قائلاً له يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دونه ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يا عيسى أأنت دعوت الناس أن يتخذوك أنت وأمك معبودين يعبدونكما ويئلهونكما.

وهذا تهديد للنصارى وتوبيخ لهم على رؤوس الأشهاد فإن قيل: فالنصارى لم يتخذوا مريم إلهاً فكيف قال ذلك فيهم فالجواب الأول: أنهم لما جعلوا عيسى عليه السلام إلهاً ألزمهم أن يجعلوا والدته أيضاً كذلك لأن الولد من جنس من يلده فذكر إلهين على طريق الإلزام لهم.

والثاني: أنهم لما عظموها تعظيم الإلٰه أطلق عليها اسم الإلٰه.

والثالث: قيل أن هناك قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم أنها إله[1]، ففي دعائهم يقولون: يا والدة الإله أرزقينا، واغفري لنا وارحمينا.

فيجيب عيسى عليه السلام ربه بقوله ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك من أن أقول ذلك أو يقال في حقك. ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ لا يجوز ولا ينبغي ولا يليق أن أدعي لنفسي ما ليس من حقها، ولا يحق لي قوله. في أي وقت من الأوقات.

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ إنك لا يخفى عليك شيء وإنك عالم أني لم أقله ولم أمرهم به ولو أني قلت ذلك لعلمته.

وهذا توفيق للتأدب مع الله في الجواب الكامل فرد ذلك إلى علمه وقد كان الله عالماً به أنه لم يقله. ولكن سؤاله له كان تقريعاً لمن اتخذ عيسى إلها، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

تعلم حقيقة ذاتي وسري وما انطوت عليه نفسي ولا أعلم حقيقة ذاتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ إنك أنت العالم بالخفايا والنوايا وعلمك محيط بما كان وما لم يكن وما هو كائن.

---

(1) الألوسي: م7،ص65.

سورة المائدة آية رقم 117

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (117) ﴾

ما قلت لهم إلا الذي أمرتني به أن أقوله لهم. وهو أن أعبدو الله ربي وربكم ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهداً عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ فلما رفعتني إليك كنت أنت الشهيد والحفيظ عليهم دوني.

وقيل أن جواب عيسى الذي أجاب به ربه من الله توفيقاً منه له فيه.

وقول عيسى عليه السلام لربه ﴿ مَاقُلْتُ لَهُمْ ﴾ نزولاً على قضية حسن الخلق والأدب مع الله لئلا يجعل ربه سبحانه ونفسه معاً أمرين. ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وأنت المطلع على كل شيء لا يخفى عليك شيءً.

فيما بفعله، تضل من تشاءَ وتهدي من تشاء، والمعنى: إن تعذبهم فإنهم يستحقون ذلك لأنهم عبدوا غيرك وخالفوا أمرك. وقالوا ما قالوا، واعتقدوا في عيسى ما اعتقدوا.

سورة المائدة آية رقم 119

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾

يقول تعالى مجيباً عبده ورسوله عيسى عليه السلام فيما أنهاه إليه من التبري من النصارى الذين قالوا ما قالوا على الله وعلى رسله ومن رد المشيئة فيهم إلى ربه عز وجل ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ يوم القيامة ينفع الصادقين في الدنيا صدقهم لأنه يوم الجزاء ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ لهم جنات تجري من تحت غرفها وأشجارها الأنهار ماكثين فيها لا يحولون ولا يخرجون منها أبداً، ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

نالوا رضوان الله لصدقهم ورضوا عن الله. وذلك هو الظفر والفوز الكبير بجنات النعيم.

سورة المائدة آية رقم 120

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾

لله سلطان السماوات والأرض والجميع تحت قهرة ومشيئته وهو القادر على كل شيء.

فعيسى عليه السلام وأمه من بعض ذلك بالحلول والإنتقال يدلان على أنهما عبدان مملوكان لمن له سلطان السماوات والأرض وما فيهن.

سورة آل عمران أية رقم 79

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

هذا رد من الله سبحانه وتعالى على النصارى الذين ادعوا أن عيسى عليه السلام أمرهم بعبادته وإشراكه مع الله في العبادة فيقول سبحانه ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ لا يجوز ولا ينبغي لأحد من البشر مهما علَى قدره وارتفع وأعطاه الله الكتاب والحكم والنبوة ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أن يقول للناس اعبدوني من دون الله.

أي كيف يتوهم أن يقول هذا نبي مرسل من عند الله ليرشد الناس إلى عبادة الله وحده، فكيف يدعوهم إلى عبادته، وهو بشر مثلهم، أي أن ذلك لا يصح عقلاً صدوره عن نبي مرسل أعطاه الله الكتاب والحكم والنبوة، ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين قال ابن عباس: حكماءً علماءً حلماءً أي مطيعين لله بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم إياه.

سورة آل عمران آية رقم 80

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

ولا يجوز أن يدعوكم إلى عبادة غير الله ملائكة كانوا أو أنبياء – ثم يستفهم الله عز وجل منهم بإنكار وتعجب - ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أيدعوكم نبيكم إلى الشركِ بوحدانية الله وكفره بعد أن دخلتم في دين الله وءامنتم به واستسلمتم لأمره.

سورة التوبة آية رقم 31

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى أن اليهود والنصارى اتخذوا علمائهم وسادتهم وأحبارهم ورهبانهم أرباباً يطيعونهم كما يطيعون الله.

أي أطاع اليهود أحبارهم والنصارى رهبانهم في التحليل والتحريم وتركوا امر الله فكأنهم عبدوهم من دون الله.

أي أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم فقد روي عن عدي ابن حاتم الطائي أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال: يا عدي إطرح عنك هذا الوثن، قال وسمعته يقرأ ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام " أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟! فقلت بلى، قال فتلك عباتهم﴿ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ واتخذت النصارى عيسى ابن مريم معبوداً ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾.

وما أمرتهم رسلهم إلا بعبادة الله وحده وإطاعته في التشريع والأمر والنهي والحلال والحرام ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود ولا إله ولا رب سواه ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ تنزه الله عما يقول المشركون وتعالى علواً كبيراً، وتطهر عما يشركون به في طاعته وعبادته.

انهى الباب الثالث عشر بحمد الله

الباب الرابع عشر

كفر من ادعى أن المسيح هو الله

الباب الرابع عشر

كفر من ادعى ان المسيح هو الله

سورة المائدة آية رقم 72

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى كفر من ادعى أن المسيح هو الله، وهؤلاء الـذين قالوا أن مريم ولدت إلهاً هم اليعقوبية زعموا أن الله حل في ذات عيسى تعالى الله عـن ذلـك علـواً كـبيراً ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ وقال المسيح مخاطباً بني إسرائيل اجعلوا العبادة والتـذلل للـذي يذل كل شيء إليه. وله يخضع كل موجود. ربـي وربكـم، مـالكي ومـالككم، سيدي وسـيدكم، الـذي خلقـني وإيـاكم ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ إنه من يعتقد بألوهية غير الله أو يَعْبُد مع الله إلهاً آخر أو يشرك في العبادة معه غيره ﴿ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ فمصيره جهـنم يـأوي إليهـا ﴿ وَمَا

﴿ لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَـارٍ ﴾ وما للمشركين منقذ أو ناصر من عذاب الله. لأن الجنة لا يدخلها إلا الموحدون.

فطائفة من النصارى يقولون: أن رب العالمين وخالق السماوات والأرض نزل عن عرشه وكرسي عظمته ودخل في بطن إمرأة في محل الحيض والطمث عدة شهور ثم خرج من فرجها طفلاً يمص الثدي ويبكي، ويكبر شيئاً فشيئاً، ويأكل ويشرب ويبول ويصح ويمرض ويفرح ويحزن ويلذ ويألم ثم دبر حيلةً على عدوه إبليس بأن مكن أعدائه اليهود من نفسه، فأمسكوه وساقوه إلى خشبتين يصلبونه عليهما، وهم يجرونه إلى الصلب والأوباش والأراذل قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، وهو يستغيث ويبكي فقربوه من الخشبتين، ثم توجوه بتاج من الشوك، وأوجعوه صفعاً، ثم حملوه على الصليب، وسَمْروا يديه ورجليه، وجعلوه بين لصين، وهو الذي اختار هذا كله لتتم له الحيلة على إبليس ليخلص آدم وسائر الأنبياء من سجنه ففداهم بنفسه حتى خلصوا من سجن إبليس.

فسبحانه الله عن هذا القول وتعالا علواً كبيراً.

سورة المائدة آية رقم 17

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى كفر من ادعى أن المسيح هو الله وهو ذم للنصارى الذين ضلوا عن سبل السلام قال ابن حيان: ذكر سبحانه أن من النصارى من قال إن المسيح هو الله. ومنهم من قال هو ابن الله ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ قل يا محمد للنصارى الذين افتروا على الله بقولهم أن المسيح هو الله من ذا الذي يقدر أن يُرَدّ من أمر الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم بإعدامه وإعدام أمه مريم وإعدام من في الأرض جميعاً.

أي أنه عبد مقهور وبمعزل عن الألوهية هو وأمه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ والله له ما في السماوات والأرض وما بينهما. متصرف بهم، لا معقب لحكمه، يهلك من يشاء ويبقي من يشاء. لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ هو قادر على انشاء ما يشاء لا يعجزه شيء، ولذلك خلق عيسى من غير أب.

قال ابن حيان: ذكر سبحانه وتعالى أن من النصارى من قال أن المسيح هو الله، ومنهم من قال هو ابن الله، ومنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من تستر بالإسلام ظاهراً وانتمى إلى من يقول بحلول الله في الصور الجميلة ومن ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالإتحاد والوحدة كالحلاج والصفّار وابن اللبّاج وأمثالهم وإنما ذكرتهم نصحاً لدين الله وقد أولع جهلة من ينتمي إلى هؤلاء وإدعائهم أنهم صفوة الله وأولياه.

الباب الخامس عشر

عقيدة التثليث كفر

الباب الخامس عشر

عقيدة التثليث كفر

سورة النساء آية رقم 171

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (171) ﴾

هذا خطاب من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب خصوصاً للنصارى ينهاهم فيه عن الزيادة وتجاوز الحد في رفع عيسى عن المنزلة التي أعطاها إياه فيقول سبحانه ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ يا معشر النصارى لا تتجاوزوا الحد في الدين وإطراء عيسى ورفعه إلى منزلة الألوهية ﴿ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ ﴾ ولا تفتروا على الله ولا تقلوا إلا الصدق.

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ ما عيسى ابن مريم إلا رسول مرسل من الله.

نسبة إلى أمه على أن من كان منسوباً إلى أمه كيف يكون إلهاً، وحق الإله أن يكون قديماً لا محدثاً: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ وَخَلْقَ بكلمته تعالى"كن فيكون" من غير واسطة أب ولا نطفة.

والكلمة تطلق على الجملة المفيدة، والجملة المفيدة هنا هي قوله عز وجل كن فيكون، وهي الكلمة التي نزل بها جبريل من عند الله مبشراً بها مريم عليها السلام.

وكما يقال ألقيت إليك كلمةً أسرتك، أي أخبرتك بها، وكلمتك بها.

﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾، ذو روح مبتدأة من الله وهو أثر نفخة جبريل في روح مريم حيث ولجت النفخة في فرجها فحملت بتلك النفخة بعيسى وإنما أضيف إلى الله تشريفاً وتكريماً[1].

قال رسول الله ﷺ" من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل[2]، "أو من أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء" وهذا لفظ لمسلم.

معنى: وروح منه:

قال الجاحظ: ووصفه بأنه منه، فالمعنى: أنه كائن منه، كما في قوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ أي أنه سبحانه سخر هذه الأشياء كائنةً منه، أي أنه مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته، أ. هـ أي

---

(1) في الصابوني ج1، ص 322.

(2) رواه البخاري.

أنه كما أوجد هذه الأشياء أي السماوات والأرض وما في هذا الكون منه سبحانه أوجد عيسى عليه السلام منه سبحانه فلا خلاف في ذلك وتلك. فعيسى عليه السلام مخلوق من مخلوقاته كالسماوات والأرض.

قال شيخ الإسلام: المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنىً لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى، قائمة به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب.

وإذا كان المضاف عيناً قائمةً بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بني آدم إمتنع أن تكون صفةً له تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفةً لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلى الله على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه لكونه خلقها وأبدعهما، فهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم، سماءُ الله، وأرض الله، فجميع المخلوقات عبيد لله، وجميع المال مال الله.

الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خصه من معنى يأمر به، ويرضاه، كما خص البيت العتيق، لأن العبادة فيه لا تكون كغيره، وكما يقال؛ عن مال الخمس والفيء: هو مال الله ورسوله، ومن هذا الوجه: فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره، فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه. إنتهى [1].

(1)ملخص فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 43.

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ فأمنوا بوحدانية الله وصدقوا برسله ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ ولا تقولوا الآلهة ثلاثة، الله، والمسيح، ومريم، أو الله ثلاثة: الأب، الإبن، وروح القدس، فنهاهم عن التثليث وأمرهم بالتوحيد لأن الله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه[1]، ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡ ﴾.

انتهوا عن ذلك خيراً لكم من قيله، لما لكم عندي من العقاب العاجل إن أقمتم عليه، ولم تنيبوا إلى الحق الذي أمرتكم بالإنابة إليه، ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾، ما الله أيها القائلون الله ثالث ثلاثة إلا إله واحد متفرد في ألوهيته ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾ تنزه عن أن يكون له ولد ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

له ملك السماوات والأرض من الأشياء كلها خلقاً وعبيداً وهو سبحانه لا يماثله شيء حتى يتخذه ولداً ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ فهو سبحانه غني عن غيره فلا حاجة له لمن يساعده فهو يدبر مخلوقاته ويحفظها ويرزقها دون الحاجة إلى ولد يعينه.

---

(1) الصابوني ج1، ص322.

سورة النساء آية رقم 172

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ ﴾

لن يأنف ولن يتكبر عيسى ابن مريم الذي ادعيتم أنه إله عن أن يكون عبداً لله ﴿وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ ، ولا الملائكة يتكبرون أيضاً أن يكونوا عبيداً لله ولو كانوا مقربين إلى الله.

وقد أشار القاضي عياض إلى شرف العبودية لله بقوله:

ومما زادني عجباً وتيهاً	وكدت بأخمصي أطؤ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وجعلك خير خلق الله لي نبيا

﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾

ومن يأنف ويتكبر عن عبادة الله وطاعته فسيجمعهم إليه يوم القيامة جميعاً.

قال أبو الفضل المالكي شارحاً التثليث والأمانة التي يعتقدونها.

بطلت أمانتهم فمن مضمونها	ظهرت خيانتها خلال سطورها
بدأوا بتوحيد الإله وأشركوا	عيسى به فالخلف في تعبيرها
قالوا بأن إلههم عيسى الذي	ذر الوجود على الخليقة كلها
خلق أمه قبل الحلول ببطنها	ما كان أغنى ذاته عن مثلها

هل كان محتاجاً لشرب لبانها أو أن يربى في مواطن حجرها
جعلوه رباً جوهراً من جوهر ذهبوا لما لا يرتضيه أولو النهى
قالوا وجاء من السماء عنايةً لخلاص آدم من لظاه وحرها
لقد تاب آدم توبة نصوحةً فضلالهم جعل الفدا بغيرها
لو جاء في ظلل الغمام وحوله شرفاً ملائكة السماء بأسرها
وفدى الذي بيده أحكم طينة بالعفو عن كل الأمور وسترها
كنتم تحلون الإله مقامه فيما تراه نفوسكم من شركها
من غير أن يحتاج في تخليصه كل الخلائق أن تبوءَ بضرها
ويشينه الأعدا بما لا يرتضيه من كيدها وبما دهى من مكرها
هذه أمانتهم وهذا شرحها الله أكبر من معاني كفرها

سورة النساء آية رقم 173

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾

فأما من آمن الإيمان الصحيح وأيده بالعمل الصالح فيعطيهم الله عز وجل الثواب على قدر أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ ويزيدهم من إحسانه وسعة نعمته وامتنانه ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ

﴿ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ وأما الذين امتنعوا وتعظموا عن عبادته واستكبروا فسيعذبهم عذاباً موجعاً أليماً ﴿ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ولن يجد المستكبرون عن عبادة الله من يتولاهم أو يدفع عنهم عذابه وعقابه.

سورة المائدة آية رقم 73

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾

يُكَفِّرُ الله سبحانه وتعالى من قال أنه أحد ثلاثة آلهة وهذا قول الملكية واليعقوبية والنسطورية القائلين: إن الإلهية مشتركة بين الله، وعيسى، ومريم وكل واحد من هؤلاء إله، ولهذا يقولون الأب والإبن وروح والقدس، فزعموا أن الأب إله والإبن إله والروح إله والكل إله واحد.

وهذا معلوم البطلان ببداهة العقل أن الثلاثة لا يكونوا واحداً وأن الواحد لا يكون ثلاثة.

﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ والحال أنه لا يوجد إلا إله واحد منعوت بالوحدانية متصف بالكمال، ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ وإن

لم ينتهوا عن هذا القول قولهم بالتثليث ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ليمسنَ الذين يقولون هذه المقولة العذاب الأليم.

فعم الوعيد كل كافر من النصارى الذين يقولون بالتثليث ومن يقول هذه المقولة.

سورة المائدة آية رقم 74

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾

يستفهم الله منهم وهو إستفهام توبيخ لهم وتقريع وتعجب من إصرارهم على الكفر فيقول سبحانه ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾ أفلا ينتهي هؤلاء القوم عن عقائدهم الزائفة وأقاويلهم الباطلة ويستغفرونه من قولهم بالإتحاد والحلول عن الله، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ والله سبحانه غفور لمن تاب رحيم لمن أناب.

يدعوهم الله عز وجل إلى التوبة والإنابة إليه واستغفاره ووعدهم بالمغفرة لهم ولم يقنطهم من رحمته وزيادة عن ذلك وعدهم بالرحمة إن هم تابوا وانتهوا عن هذه المقولة الشنعاء.

سورة المائدة آية رقم 75

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ما عيسى إلا رسول كسائر الرسل الذين مضوا من قبله أجرى الله على يديه المعجزات كما أجرى على يدي المرسلين من قبله.

فموسى عليه السلام أحيا الجماد وهي العصا عندما ألقاها فإذا هي ثعبان بإذن الله.

وإبراهيم الخليل عليه السلام أحيا أربعةً من الطير عندما دعاهن فأتين يسعين إليه بإذن الله.

وقصة الغلام التي ذكرت في سورة البروج الذي كان يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي سائر الأمراض بإذن الله معروفة، ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ وأم عيسى مبالغة في الصدق، لتصديقها بآيات ربها وبكلماته وبكتبه ورسله ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ فعيسى وأمه كانا أهل حاجة لما يغذيهما من الطعام وتقوم به أبدانهما كسائر بني البشر.

فإن من كان كذلك فغير جائز أن يكون إلهاً لأن المحتاج إلى الطعام والغذاء قوامه بغيره، وفي قيامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون الهاً[1].

---

(1) تفسير الطبري، ج4، ص315.

وهو أيضا كناية عن قضاء الحاجة، لأن من أكل الطعام احتاج إلى التبرز وهذا أمَرٌ ذوقاً في أفواه من إدعى ألوهيتهما لما في ذلك الدلالة على الاحتياج المنافي للألوهية بشاعةً عرفية(1).

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾.

انظر كيف نوضح لهم الآيات ونظهرها لهم ثم أنظر بعد هذا الوضوح والجلاء والبيان بأي قول يتمسكون وإلى أي مذهب من الضلال يذهبون وكيف عن الهدى يبتعدون.

سورة المائدة آية رقم 76

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

أمر من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ بتبكيتهم والتعجب من أحوالهم وذلك زيادة في البيان وإقامة الحجة عليهم بقوله سبحانه ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾

قل يا محمد أتوجهون عبادتكم لمن لا يملك ضراً ولا نفعاً لكم، فأنتم تقرون أن عيسى كان يأكل الطعام، وجنيناً في بطن أمه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم ولا ينفع ولا يضر فكيف اتخذتموه إلهاً.

(1) اللوسي، ج6، ص 208.

﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

والله سميع لأقوالكم عليم بأحوالكم، له السمع المطلق والعلم المطلق. فكيف تركتم عبادة من هو متصف بصفة الكمال والجلال وعبدتم من لا يملك لنفسه أو لغيره ضراً ولا نفعاً.

سورة الأنبياء آية رقم 8

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى أن عيسى وأمه كانا يأكلان الطعام مثل باقي البشر، وأنهما ليسو بإلهين، يؤكد الله سبحانه وتعالى أن جميعَ الرسل الذين بعثهم ومن ضمنهم عيسى عليهم السلام كانوا يأكلون الطعام فهم ليسوا بملائكة أو من جنسٍ آخر فهم بشر مثل باقي البشر، ﴿ وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾، أي أن الله سبحانه جعل هؤلاء الأنبياء أجساداً بحاجة إلى الطعام لتقوم به أجسادهم كباقي البشر فهم ليسوا ملائكة أو آلهة - ﴿ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴾وهم يموتون كما يموت باقي البشر وليسوا مخلدين فيها.

الألوهية والتثليث

يعتقدون بوجود إله خالق عظيم لأنهم كتابيون أصلاً، لكنهم يشركون معه الإبن عيسى، والروح القدس جبريل، وبين الكنائس تفاوت عجيب؛ في

تقرير هذه المفاهيم وربط بعضها ببعض مما يسمونه بالأقانيم الثلاثة ويفسرونه بأنه وحدانية في تثليث، وتثليث في وحدانية.

لقد كان "لبولس "شاول" وهو يهودي دَخَلَ النصرانية – دور كبير في تحطيم الاتجاهات الصحيحة للنصرانية بإدخاله فكرة التثليث والقول بألوهية المسيح، وأنه قام من الأموات وصعد ليجلس على يمين أبيه، كما ابتكر خرافة العشاء الرباني، وغفران الذنوب مُستَمِداً ذلك من الفسفات الإغريقية الوثنية ونادى بألوهية الروح القدس، ودعا إلى عدم ضرورة الختان، واخترع قصة الفدا، وهو الذي نقل النصرانية من كونها ديناً خاصاً ببني إسرائيل إلى جعلها ديناً عالمياً، لقد كتب أربعة عشر سفراً تعليمياً من أصل إحدى وعشرين رسالة تشكل مجموع الرسائل التي تعد مصدراً تشريعياً في النصرانية.

تم بحمد الله الباب الخامس عشر

الباب السادس عشر

ظهور عيسى عليه السلام، ونزوله دليل على قرب الساعة

الباب السادس عشر

ظهور عيسى عليه السلام ونزوله دليل على قرب الساعه

سورة الزخرف آية رقم 57

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

ولما شَبَّه الله عيسى في إحداثه وإنشائه إياه من غير فحل بآدم فمثله به خلقه من تراب ثم قال له كن فكان ﴿إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾.

إذا قومك يا محمد من ذلك يضحكون.

وقالوا ما يريد محمد منّا إلا أن نتخذه إلهاً نعبده كما عبدت النصارى المسيح ابن مريم.

سورة الزخرف آية رقم 58

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

خاصموه فقالوا: يزعم محمد أن كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة، هؤلاء قد عبدوا من دون الله، فأنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا

مُّبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾، إن الذين أسلفوا الأعمال الصالحة من الأنبياءَ مثل عيسى ومن المؤمنين أولئك سبقت لهم من الله السعادة والبعد عن نار جهنم.

سورة الزخرف آية رقم 59

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾

ما عيسى إلا عبد أنعم الله عليه بالنبوة وجعله عبرة وآية لبني إسرائيل يُستَدَلُ بها على قدرته، بأن خلقه من غير أب وآتاه معجزات لم يجعلها لغيره في ذلك الزمان.

سورة الزخرف آية رقم 60

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم وأفنيناكم جميعاً وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها، أي يخلف بعضهم بعضاً يعبدونني.

سورة الوخرف آية رقم 61

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾

وإن ظهور عيسى ونزوله إلى الارض من علامات وأشراط الساعة وقرب قيامها ﴿ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا ﴾ فلا تشكن بها ﴿ وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ

﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فأطيعوني واعملوا بما أمرتكم به فإن ذلك هو الطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه.

وفي صحيح مسلم: فبينما هو – يعني المسيخ الدجال – إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين[1] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطّر وإذا رفعه تحدّر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نسفه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد[2] فيقتله.

وقال عليه السلام "الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إذ ليس بيني وبينه نبي، وإنه أول نازل فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويقاتل الناس على الإسلام.

وقال عليه السلام "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم" رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ "لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا، قالت: الروم خلوا بيننا وبين الذين تسألوا منّا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل الثلث أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم

---

(1) حلتين.

(2) قرية قرب بيت المقدس بفلسطين من نواحي القدس.

قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيخ قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيؤمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله بيده فيريهم دمه في حربته". رواه مسلم.

سورة الزخرف آية رقم 62

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

ولا تطيعوا الشيطان فيما يوسوس لكم ولا تغتروا بشبه الكفار المجادلين. فإن شرائع الأنبياء لم تختلف في التوحيد ولا فيما أخبروا به من علم الساعة وغيرها بما تضمن من جنة ونار ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ إن الشيطان لكم عدوّ يدعوكم إلا ما فيه هلاككم فلا تدعوه يصدكم عن عبادة الله ودخولكم جنته.

سورة الزخرف آية رقم 63

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾

ولما أعطي عيسى المعجزاتِ ﴿ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ ﴾ قال قد جئتكم بدلالةٍ على أني مرسل من عند الله ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ولأبيّن لكم بعض الذي اختلفتم فيه من أحكام التوراة وقيل من تبديل

التوراة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فخافوا الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.

سورة الزخرف آية رقم 64

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤)﴾

إن الله هو ربي كما هو ربكم فلا تعبدوا رباً سواه فاتبعوا هذا الطريق الصحيح الذي لا اعوجاج فيه.

سورة الزخرف آية رقم 65

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥)﴾

فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام.

فقالت اليهود هو ابن زنا وابن زانية وساحر كذاب وقالت فرقة من النصارى هو ابن الله وفرقة قالت هو الله وفرقة قالت هو ثالث ثلاثة أحدهم الله.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾

فويل للمشركين المتحزبين من ذلك اليوم الذي يلقون فيه أشد العذاب.

سورة الزخرف آية رقم 66

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

ماذا ينتظر هؤلاء الكفار الساعة التي تأتي بغتةً أم الموت الذي يأتي فجأة من حيث لا يشعرون.

وذلك لحثهم على التوبة والرجوع عما يقولون ويعتقدون، ومن الأحاديث التي تفيد نزوله عليه السلام قبل يوم القيامة ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وَلَيَضعنّ الجزية، ولتتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناءَ والتباغض والتحاسد، ولتدعون إلى المال فلا يقبله أحدٌ". ومعنى وليضعن الجزية: أي يلغيها فلا يقبلها فإما الإسلام وإما القتل.

وقوله عليه السلام "ولتتركن القلاص" أي لتتركن ركوب شباب النوق فإن النوق كانت هي وسيلة التنقل الوحيده، ونقل الأمتعة، وتركها يعني الاستعاضة عنها بأشياء أخرى من وسائل النقل مثل السيارات والطيارات والبواخر، وهي لم تكن موجودةً في زمنه عليه السلام، مما يدل على أن رسول الله – ﷺ – لا ينطق من عند نفسه إنما هو عَلمَهُ ربه وإلا فكيف عرف رسول الله – ﷺ – هذا.

وعنه أيضاً أن رسول الله – ﷺ – قال: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم"، وفي رواية "فأمكم منكم" قال ابن أبي ذئب: "تدري ما أمكم منكم؟... قلت تخبرني: قال: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم – ﷺ.

تم الباب السادس عشر بحمده وكرمه

الباب السابع عشر

تنزيه الله

عن الصاحبة والولد

الباب السابع عشر

تنزية الله عن الصاحبة والولد

سورة المائدة آية رقم 18

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

قال ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أن رسول الله ﷺ خوّف قوماً من اليهود بالعقاب من الله فقالوا: لا نخاف فإنا أبناءَ الله وأحباءُه.

يقول الألوسي رحمة الله: وعندي أن إطلاق ابن الله على المطيع قد كان في الزمن القديم، ففي المزامير "أنت ابني سلني أعطك" وفيها أيضاً "أنتم أبنائي وبناتي" يريد ذكور عباد الله تعالى الصالحين وإناثهم، وفي الفصل الثالث "أيها الأحباب الآن صرنا أبناءُ الله تعالى"، وقال يوحنا التلميذ في قصص الحواريين "يا أحبائي إنا أبناء الله تعالى سمانا بذلك"[1].

فإن كل هذه الأبناء تطلق على المطيع لله وليس المقصود فيها ولد الله، فكان أحق الناس بلفظ ابن هو عيسى عليه السلام والعزير، وقد كان اليهود والنصارى في ذلك الزمان يعلمون هذا ويفهمونه فلما تعاقبت الأجيال ومع

(1) الألوسي، روح المعاني، ج6،ص101، بالتصرف

مر العصور والأزمنة واستمرار الجهل وقل الفهم فسروا ابن الله بولد الله، فأنت تجد في أناجيلهم ابن الله، ولد الله، المولود لله.

ولذلك قالوا كما حكى القرآن ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾أي يفتخرون على غيرهم بأنهم مطيعون لله فهم أبناؤه وأحباؤه ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ أي لو كنتم كذلك فلم أعد لكم نار جهنم على كذبكم وافتراكم ﴿ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ بل أنتم خلق كباقي الخلق يحاسبكم بعملكم ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾يغفر لمن آمن ويعذب من كفر فهو له المشيئة المُطلَقَة ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ لله تدبير ما في السماوات والأرض وما بينهما لا شريك له في ملكه ولا معقب لحكمه.

سورة البقرة آية رقم 116

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

هذا إخبار عن النصارى في قولهم المسيح ابن الله، وعن اليهود في قولهم عزير ابن الله، وعن كفرة العرب القدامي في قولهم الملائكة بنات الله، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تقدس وتبرئ وتنزه عن قولهم اتخذ الله ولدا، بل هو الله تعالى

واحد في ذاته، أحد في صفاته، لم يلد فيحتاج إلى صاحبة ولم يولد فيكون مسبوقاً ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بل هو خالق جميع الموجودات السماوات والأرض ومن فيهما له ومن ضمنهم الملائكة وعزير والمسيح ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ الكل منقاد مطيع مستسلم له سبحانه تحت تقديره ومشيئته.

أخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ: أنه قال " قال الله تعالى كذبني بني آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه أياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه أياي فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولد.

سورة البقرة آية رقم 117

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾

منشئ السماوات والأرض وموجدهما ومبدعهما ومخترعهما على غير مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ وإذا أراد إيجاد شيء حصل من غير امتناع ولا مهلة فأمره نافذ كلمح البصر فقط يقول له كن فيكون.

وما قضاه في الأزل أنه خلق عيسى من غير أب، فقط قال له كن فكان.

سورة الأنعام آية رقم 100

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

وجعلوا الجن شركاءَ الله حيث أطاعوهم في عبادة غير الله، والمقصود هم الشياطين الذين هم من الجن، فكل ما عُبد من دون الله سببه إطاعة الشياطين في عبادة غير الله، ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ وهو خالقهم وموجدهم ورازقهم فكيف يعبدون غيره ويقولون أن له ولد ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ﴾ واختلقوا له ونسبوا إليه البنين والبنات حيث قال اليهود عزير ابن الله وقال النصارى المسيح ابن الله وقال مشركوا العرب الملائكة بنات الله من غير مستند ولا علم لهم بذلك سبحانه﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ، تنزه الله وتقدس عن هذه الصفات التي نسبها إليه الظالمون.

وتقدس عما يقول هؤلاء الجهلة وما يصفونه به علواً كبيراً.

سورة الأنعام آية رقم 101

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾

مبدع السماوات والأرض ومنشئهما وخالقهما ومحدثهما على غير مثال سبق.

قال مجاهد والسدي ومنه سميت البدعة لأنه لا نظير لها فيما سلف[1]

﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ كيف يكون له ولد وليس له زوجة والولد لا يكون إلاّ من زوجة – والمقصود أنه من المستحيل أن يكون له ولد لإستحالة أن يكون له صاحبة، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وما من شيء إلا وهو خالقه وموجده – أي كيف يكون له ولد مما خلق والولد لا يأتي ألاّ من شيئين متناسبين بطريق التوالد، والله سبحانه لا يناسبه شيء ولا يشابهه شيء من خلقه ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ وما من شيء إلا وهو خالقه والعالم به.

سورة الأنعام آية رقم 102

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

ذالكم الله خالقكم هو ربكم ومالككم ومدبر أموركم لا إله إلا هو ولا معبود بحق سواه ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الذي خلق وأوجد كل شيء ﴿ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ فاعبدوه ولا تعبدوا رباً سواه فهو وحده المستحق للعبادة ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ وهو حفيظ ورقيب عليكم يدبر أموركم ويرزقكم.

---

(1) ابن كثير 2/ 160.

سورة الأنعام آية رقم 103

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

بيّن الله سبحانه وتعالى أنه متنزه عن سمات الحدوث ومنها الإدراك بمعنى الإحاطة والتحديد كما تدركَ سائر المخلوقات[1] - فقال سبحانه واصفاً نفسه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به وهو يراها ويحيط بها لشمول علمه تعالى للخفيات ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ وهو اللطيف بعباده الخبير بمصالحهم.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: من زعم أن محمداً أبصر ربه في الدنيا فقد كذب، وفي رواية فقد كذب على الله، فإن الله تعالى قال ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا تصل إليه الأبصار ونفي الإدراك في الدنيا لا ينفي الرؤية يوم القيامة، فقد ثبت بكتاب الله وسنة رسوله رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة 22-23 وقال تعالى عن الكافرين ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين15 قال الإمام الشافعي: فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى.

(1) القرطبي، 7/ 54.

وأما السنة فقد تواترت الأخبار عن جم غفير عن الصحابة عن النبي – ﷺ – أن المؤمنون يرون الله في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات، جعلنا الله وإياكم منهم بمنه وكرمه آمين.

وثبت في الصحيحين أن رسول الله– ﷺ – قال: إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يُرفع إليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابة النور – أو النار – لو كشفه لأحرقت سَبَحَات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

سورة التوبة آية رقم 30

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

يخبرنا ربنا سبحانه وتعالى مقولة اليهود عزير ابن الله ومقولة النصارى المسيح ابن الله، قالوا لأن عيسى ولد بدون أب، ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ ﴾ هذا ما قالوه هم بأفواههم ولم يجبرهم عليه أحد فاستحقوا عقاب الله، ولا حجة لهم بذلكَ بل هي دعوى ليس لهم عليها دليل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ﴾ يضاهي قولهم في الكفر والشناعة قول من كفر من قبلهم من الأمم ضلوا كما ضل هؤلاء

﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ لعنهم الله كيف يضلون عن الحق وهو ظاهر ويعدلون إلى الباطل.

من دلالات الآية أن كل من قال هذه المقوله فهو كافر ضال مستحق للعنة الله.

سورة يونس آية رقم 68

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

هذا ضرب آخر في الرد على مشركي العرب في زمن الجاهلين ومن حذا حذوهم من اليهود والنصارى بقولهم أن لله ذرية فيشرع الله في الرد عليهم وعلى أباطيلهم بقوله ﴿ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلْغَنِيُّۖ ﴾ تقدس وتنزه عن أن يكون له ولد هو الغني عن خلقه وعن كل ما سواه ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ ﴾ ما في السماوات والأرض ملك له خلق من خلقه عبيد له فكيف يكون له ولد منهم – للتباين بينه وبينهم ﴿ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ ﴾ ليس عندكم دليل على ما تقولونه وليس لكم حجة على قولكم هذا ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ اتفترون على الله بقولكم هذا أن له ولداً دون علم ولا حجة.

وهذا يدل على أن كل اعتقاد لابد له من دليل قطعي وأن التقليد ليس من الهداية في شيء.

ومن دلالات الآية أيضا أن كل قول ليس عليه دليل فهو جهالة.

سورة يونس آية رقم 69

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

قل يامحمد لهؤلاء الكفار والمشركين إن الذين يختلقون ويفترون ويكذبون على الله لا يفلحون.

سورة يونس آية رقم 70

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

متاع زائل مدته محدودة ثم رجوعهم إليه سبحانه وتعالى يوم القيامة فيذيقهم فيه العذاب الشديد المؤلم بسبب كفرهم وقولهم أن لله ولد.

سورة الإسراء آية رقم 111

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد – ﷺ – بأن يحمده سبحانه ويثني عليه بأن الله أحد متنزه عن الولد ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ لا شريك له في ألوهيته ولا في ملكة ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ ولم يذل فيحتاج إلى

ولي وغير محتاج إلى ناصر لعزته وكبريائه[1] ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ وعظّمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً[2].

وقد جاء في حديث أن رسول الله – ﷺ – سمى هذه الآية آية العز.

سورة الكهف آية رقم 1

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾

الثناء الكامل والشكر والحمد والإجلال والتعظيم لله الذي أنزل على رسوله محمد – ﷺ – القرآن الكريم – فإنه أعظم نعمة أنعمها الله على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور- ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ ولم يجعل فيه إعوجاجاً ولا زيغاً ولا ميلاً.

سورة الكهف آية رقم 2

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾

مستقيماً لا اختلاف فيه ولا تناقض ولا ميل لينذر بهذا القرآن من خالفه وكذبه ولم يؤمن به العذاب الشديد في الدنيا والآخرة من عنده تعالى ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾

(1) القرطبي،10/ 345.

(2) ابن كثير،3/ 69.

ويبشر بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح أن لهم مثوبةٍ عند الله وهو الجنة.

سورة الكهف آية رقم 3

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ ﴾

خالدين فيها لا يحولون ولا يزولون ولا ينقطع عنهم الأجر ولا ينتهي.

سورة الكهف آية رقم 4

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾

وينذر بهذا القرآن من قال أن لله ولداً – مثل اليهود الذين قالوا العزيز ابن الله والنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله ومشركوا العرب – في زمن الجاهليه- الذين قالوا الملائكة بنات الله.

سورة الكهف آية رقم 5

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾

ما هم بهذا القول وهذا الإفتراء العظيم الشنيع من العلم أصلاً ﴿ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ ﴾ ولا لأسلافهم وآبائهم علمٌ بهذا الأمر – أي قلدوهم فتاهوا في الجهالة والضلال ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ ﴾ عَظُمَتْ مقالتهم هذه في الكفر والافتراء على الله لما فيه من نسبته تعالى إلى مالا يكاد يصدق بكبريائه جل وعلا، لله ما أعظمها من كلمة – قولهم أن لله ولداً – وما

أجراهم عليها وعلى النطق بها وإخراجها من أفواههم، ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ ما يقولون في ذلكَ الشأن إلا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق أصلاً.

سورة الكهف آية رقم 6

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾

يقول تعالى مسلياً رسوله محمد – ﷺ – في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبُعْدِهِمْ عنه وقولهم لله ذرية: فلعلكَ قاتل نفسكَ ومهلكها غماً وحزناً بالتأسف عليهم والحسرة من أجلهم إن هم لم يؤمنوا بهذا القرآن، فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم.

سورة مريم آية رقم 88

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾

قال اليهود والنصارى ومشركوا العرب – في زمن الجاهليه- إتخذ الرحمن ذريةً وأولاداً فيرد الله عليهم بقوله.

سورة مريم آية رقم89

﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾

لقد أتيتم يا من تقولون هذه المقولة منكراً عظيماً تناهى في الفحش والشناعة.

قال الجوهري: الإد والإدَّة الداهية والأمر العظيم[1].

سورة مريم آية رقم 90

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾

تكاد السموات يتشققن فرقاً من هول هذا القول وتنشق الأرض كذلك خوفاً من مقولة لله ولد وتخر الجبال هدماً بعضها فوق بعض وتندك دكاً.

سورة مريم آية رقم 91

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾

عند سماعهن هذا القول من فجرةِ بني آدم إعظاماً للرب وإجلالاً له سبحانه – لأنهن مخلوقات ومؤسسات على توحيده.

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال "لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أن يشركَ به ويجعل له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم".

سورة مريم آية رقم 92

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾

لا يصلح ولا يليق بجلاله أن يتخذ ولداً لأنه لا كُفء له من خلقه لأن الولد يقتضي المجانسة والله لايجانسه شيء.

---

(1) القرطبي، 11-12-156

سورة مريم آية رقم 93

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾

ما مَنْ في السموات والأرض أحد من ملائكة وإنسُ وجن وجميع خلقه إلا وهو عبد مملوك منكسر إلى الله عز وجل بالعبودية والطاعة والإنتماء لقضائه وقدرته سبحانه.

سورة مريم آية رقم 94

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾

لقد علم عددهم وأحصاهم وأحاط علمه بهم فلا تخفى عليه شيء من أمورهم.

سورة مريم آية رقم 95

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾ ﴾

وكلُ واحد منهم يأتي يومَ القيامة ليس معه شيء من متاع الدنيا فرداً وحيداً ليس له إلاّ ما قدم من خير أو شر – والشر كل الشر هو اعتقاد أن لله ولداً فهو مخلد صاحبه في نار جهنم نعوذ بالله من ذلكَ.

سورة مريم آية رقم 96

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾

إن من آمن بالله وحده وأن لاولد له ولا صاحبة ولا شريك وآمن بكل ما أمر الله وعمل الصالحات سيكون لهم من الله الرحمان الرحيم حب وود ورحمة بحب بهم. انتهى

سورة الأنبياء آية رقم 25

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

وما بعثنا من قبلكَ يا محمد من رسول إلاّ أوحينا إليه وأمرناه بتوحيد الله وتنزيهه عن الصاحبة والولد والشريك والند فهو سبحانه لارب ولا إله ولا معبود بحق سواه فأعبدوني وحدي وخصوني بالعبادة ولا تشركوا معي أحداً.

فمن قال أن لله ولداً فقد أشركَ به سبحانه من حيث لا يشعر.

سورة الأنبياء آية رقم 26

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قال المشركون إتخذ الله ولداً – مثل النصارى واليهود ومشركوا العرب في زمن الجاهلية الذين قالوا أن ذرية ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزه بالذات تنزيهه اللائق به وتقدس عما يقول الظالمون ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ بل عباد مبجلون في مقامات عالية ومنازل سامية في غاية الطاعة – والمقصود هم العزير والمسيح والملائكة عليهم صلوات الله وسلامه، وهم مخلوقون له تعالى فهم ملكه سبحانه والولد لا يصلح تملكه. أي أنه لو كان لله ولد فلن يكون ملكاً له لأن الولد لا يصلح تملكه، ولنازع أباه في ملكه فلا ينضبط هذا الكون.

سورة الأنبياء آية رقم 27

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى أو يأمر به، ففيه – تنبيه على كمال طاعتهم وإنقيادهم لأمره – عز وجل وتأدبهم معه سبحانه وتعالى.

سورة الأنبياء آية رقم 28

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

علمه تعالى محيط بهم لا يخفى عليه خافية بما قدموا وأخروا.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ولا يشفعون يوم القيامة إلا لمن رضي الله أن يُشْفَعْ له – وهم أهل الإيمان وأهل شهادة لا إله إلا الله ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾وهم خائفون راهبون منه لأنهم يعرفون عظمته.

سورة الأنبياء آية رقم 29

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

ومن يقل منهم – أي العزير والمسيح والملائكة – أعبدوني وألّهوني كما يعبد الله ويؤّله – ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ فجزاءه وعقوبته نار جهنم ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾مثل تلكَ العقوبة نعاقب من أشرك بالله ومن ظلم وتعدى حدود الله. وهذا رد على النصارى الذين ادعوا أن المسيح جوهر من جوهر أو أن روح القدس إله. أي أن المسيح والملائكة عليهم السلام ما كانوا ليقولوا هذا القول ولا أن يدّعوه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون 10.

ما اتخذ الله ولداً كما زعمتم مطلقاً لا من البشر ولا من من الملائكة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ ولم يكن له شريك في الألوهية ولا الربوبية ولا في الإيجاد من عدم ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ لو كان معه إله لاختص كل إله بما خلق وتميز ملك كل واحد عن ملك الآخر ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ ولغلب بعضهم على بعض كل واحدٍ منهم يريد قهر الآخر – فما ينتظم الوجود والذي نواه أن السموات والأرض والجرات والكواكب منتظمةً دقيقة الصنع في غاية الكمال.

والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع وهو أنه لو فُرض صانعان فصاعداً فأراد واحد تحريكَ جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزاً، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد، وما جاء هذا المحال إلا من التعدد فيكون محالاً، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر هو المغلوب لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهوراً[1]. ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا

---

(1) ابن كثير، 3/ 154.

﴿ يَصِفُونَ ﴾ تنزه الله وتقدس و تعالى وتسامى عن أن يكون له شريك أو ولد أو صاحبه فهذا وصف لا يليق به سبحانه.

ومما يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضاً لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك.

سورة المؤمنون آية رقم 92

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾

هو الله تعالى العالم بما غاب عن المخلوقات ويشاهدونه تقدس وتعالى وتنزه عن الشريك والوالد.

سورة الفرقان آية رقم 1

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾

تمجد وتعظم وتكاثر خير الله الذي نزَّل على عبده ورسوله محمد القرآن الكريم الذي يَفْرُق بين الحق والباطل ﴿ تَبَارَكَ ﴾ وهو تفاعل من البركة الدائمة المستقرة ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ﴾ ونزَّل فعل من التكرار – لأن القرآن نزل منجماً مفصلاً آيات بعد آيات وأحكام بعد أحكام، وسوراً بعد سور، ليكون اعتناءه أشد بمن أنزل عليه، ﴿ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ وسماه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، والحلال والحرام، ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ على عبده ورسوله محمد – ﷺ – وهي صفة مدح لنبيه لأنه إضافة إلى العبودية وكذلك وصف عيسى – عليه السلام – بأنه لن يتكبر أن يكون

عبداً لله ولا الملائكة المقربون، وذلك أسمى شرف لنا ولهم أن نكون عباداً لله سبحانه وتعالى ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ أي إنما خص محمد بهذا القرآن المفصل العظيم المبين المحكم ليخصه بالرسالة إلى جميع الخلائق.

فالقرآن الكريم بعثه الله لجميع البشر على وجه الأرض.

سورة الفرقان آية رقم 2

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً إلا والله سبحانه مالكهم ومتصرف بهم ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ ولم يُنْزل أحداً منزلة الولد أي ليس له ولد وكل العوالم مخلوقون مربوبون له فكيف يكون له ولد من هؤلاء المخلوقات ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ وليس له شريك في ملك السماوات والأرض – لبطلان من زعم بتعدد الآلهة أو أن له ولد ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ وأحدث كل شيء أحداثاً أي أوجده من عدم حسبما أراد وكيفما شاءَ ﴿ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ ثم هيأه لما أراد من الخصائص اللائقة به، كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر.

وهو رد على من ادعى أن الشيطان أو الظلمة يخلق بعض الأشياء مثل قول المجوس والوثنية، ولا كما يقول من قال أن للمخلوق قدره الايجاد.

وصف سبحانه ذاته بأربع أنواع من صفات الكبرياء:

الأول: أنه المالك للسماوات والأرض وهذا للتنبيه على وجوده.

الثاني: أنه هو المعبود أبداً.

الثالث: أنه المتفرد بالألوهية والربوبية.

والرابع: أنه الخالق لجميع الأشياء مع الحكمة والتدبر[1].

سورة الزمر آية رقم 1

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾

تنزيل هذا الكتاب – القرآن الكريم – من عند الله تباركَ وتعالى لهو الحق الذي لا مرية فيه ولاشك ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ المنيع الجناب القادر الذي لا يُغلب الحكيم في أقواله وشرعه وقدره يفعل كل شيء بحكمةٍ وتقديرٍ وتدبيرٍ.

سورة الزمر آية رقم 2

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾

الله أنزل إليك يا محمد هذا القرآن العظيم فيه الصدق والحق وفصل الخطاب ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ فاعبد الله وحده لا شريك له وأخلص له في العبادة واجعل نيتك خالصة لربك.

(1) التفسير الكبير، 24/ 46.

سورة الزمر آية رقم 3

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) ﴾

ألا فانتهوا أيها الناس: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له مصفى من شوائب الشرك والرياء مقصوداً به وجهه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ وهؤلاء الذين عبدوا غيره – من أوثان ورهبان وأحبار والمسيح وغيرهم مما لا يعد ولا يحصى - ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ إذا أنكر عليهم، قالوا: ما نعبد هذه الآلهة إلا لبقربونا إلى الله قربى ويشفعوا لنا عنده.

قال الصاوي: كان المشركون إذ قيل لهم: من خلقكم؟ ومن خلق السماوات والأرض؟ ومن ربكم ورب آبائكم الأولين؟ قالوا: الله فيقال لهم: فما معنى عبادتكم أياهم أي الأصنام؟ فيقولون: ليقربونا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده[1]﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

---

(1) حاشية الصاوى عن الجلالين، 3/ 366.

الله يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه يوم القيامة من أمر الدين فالمؤمنون إلى الجنة، والكافرون إلى النار. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ إنه لا يوفق للهداية من كذَّبَ بآياتنا وأنكرها وجحدها – فهو غير قابل للإهتداء ولا يريد الإهتداء.

سورة الزمر آية رقم 4

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

لو شاءَ الله اتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ لاختار من مخلوقاته ما يشاء ولداً على سبيل التبني – إذ يستحيل أن يكون ذلك في حقه تعالى بطريق التوالد المعروف – ولكنه لم يشأ ذلك لقوله سبحانه ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ لا يصلح ولا يليق بجلاله أن يتخذ ولداً لأنه لا كفء له من خلقه، لأنّ الولد يقتضي المجانسه والله لايجانسه شيءٌ من خلقه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ تقدس وتنزه وتعالى وتبرئَ عن الشريك والولد، لأنه هو الواحد الأحد المنزه عن النظير والمثيل[1].

---

(1) صفوت التفاسير االصابوني، 3/ 70.

سورة الزخرف آية رقم 81

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

قل يامحمد لهؤلاء المشركين: لو فرض أن لله ولد لكنت أنا أول من يَعْبدُ ذلكَ الولد، ولكنه جل وعلا منزه عن الزوجة والولد.

قال البيضاوي: ولا يلزم من هذا الكلام صحة وجود الولد وعبادته له، بل المراد نفيهما عن أبلغ الوجوه، وإنكاره للولد ليس للعناد والمراءَ بل لو كان، لكان أولى الناس بالاعتراف به، فإن النبي يكون أعلم الناس بالله وبما يصح له وما لايصح[1].

سورة الزخرف آية رقم 82

قَالَ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

تنزه وتقديس وتعالِي وتعظيم ، رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم، عما يصفه وينسبه إليه الكافرون المشركون.

سورة الزخرف آية رقم 83

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

اترك الكفار في جهلهم وضلالهم وفي باطلهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا ذلك اليوم العصيب الرهيب الذي وعدهم الله به – وهو يوم القيامة.

فسوف يكون حالهم لا يوصف من الجزع والخوف الشديد والحرمان والبكاء تكاد تتقطع قلوبهم وتنشق صدورهم من ذلك اليوم، والله كأني أنظر

---

(1) صفوت التفاسير، 3/ 166.

إليهم وهم مكبلون بالسلاسل ويسحبون بها على وجوههم ليلقى بهم في نـار تأكل اللحم والعظم وهم يجأرون ويصطرخون والملائكة بهـم غـير مكترثـون لأنهم مأمورون.

فاحرص أيها الانسان، على البعد عن هذا المكـان، الـذي لا يـورث إلا الحرمان، وليس لهذا القول ثمة غفران، فهو مخلد في جهنم طول الزمان، يا من كنت تعرض عن كل بيان، وتنكر هذا القرآن.

نسأل الله تعالى رحمته وغفرانه.

سورة الجن آية رقم 1

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾

أي قل يا محمد للناس: إن الله سبحانه وتعالى أوحى أليّ أن جماعـةً مـن الجن إستمعوا لتلاوتـي للقـرآن ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ فـآمنوا بـه وصدقوه وأسلموا وقالوا لقومهم حين رجعوا إليهم: إنا سمعنا قرآن، بليغ أسلوبه، ترق له القلوب عند سماعه، بديع النظم، ما أعجبه وما أجمله في معانيه.

سورة الجن آية رقم 2

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾

يهدي هذا القرآن إلى طريق الحق والصواب والنجاةِ والرشد فصدقنا بهذا القرآن، واتبعناه ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ ولن نعود إلى ما كنّا عليه من الشرك، ولن نَعْبُدَ ألهاً غيره بل نفرده وحده بالعبادةِ دون غيره.

سورة الجن آية رقم 3

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾

وأن الله تعالى حق ما كان له ولد ولم يتخذ صاحبه لِعَظَمتِهِ وجلاله.

سورة الجن آية رقم 4

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ ﴾

وأن الأحمق الجاهل فينا كان ينسب إلى الله ما لا يليق بجلاله وقدسيته ويقول قولاً شططاً بعيداً عن الحق الإعتدال.

سورة الجن آية رقم 5

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

وأننا كنا نظن أن أحداً لن يكذب على الله تعالى لا من الإنس ولا من الجن في نسبة الصاحبةِ والولد إليه، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله في ذلكَ.

قال المفسرون: استمعوا إلى رسول الله – ﷺ – وهو يقرأ القرآن في صلاة الصبح، ولم يشعر بهم ولا باستماعهم وإنما أخبر به الرسول بواسطة الوحى.

قال الخازن: وفي الآية دليل على أن أولئكَ النفر كانوا مشركين.

والغرض من الإخبار عن استماع الجن، هو توبيخ وتقريع لمن قال أن لله صاحبةً أو ولداً وتوبيخهم أيضاً في التباطىءِ عن الإيمان، إذ كـان الجـن خـيراً منهم وأسرع إلى الإيمان. فإنهم من حين اسـتمعوا القـرآن عظمـوه وأمنـوا بـه ورجعـوا إلى قـومهم منـذرين، بخـلاف غيرهـم مـن الإنـس، فـإنهم كـذبوا واستهزءوا، وهم يعلمون أنه كلام معجز وأن محمداً أميّ لا يقـرأ ولا يكتـب، وشتان ما بين موقف الإنس والجن[1].

سورة الإخلاص

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾

روي أن بعض المشـركين أتـى إلى رسـول الله -- ﷺ - فقـالوا: يـا محمـد صف لنا ربكَ؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم من زبرجد أم من ياقوت؟!

فنزلت هذه السورة ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ....

﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ قل يا محمـد هـؤلاء المشـركين المسـتهزئين: إن ربي الذي أعبده، والذي أدعوكم إلى عبادته هو أحد لا شريكَ له، ولا شـبيه، ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو جل وعلا واحـد أحـد، ليس كما يعتقد النصارى ولا كما يعتقد المشركون بتعدد الآلهة.

فَوَصْفَ الله تعالى بالواحد له ثلاث معان كلها صحيحة:

---

(1) صفوت التفاسير للصابوني، 3/ 458.

الأول: أنه واحد لا ثاني معه ولا ولد فهو نفي العدد.

الثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له.

الثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض فهو نفي للتثليث.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ هو جل وعلا المقصود في الحوائج على الدوام، ويلجأ الناس إليه في جميع أمورهم، ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ لم يتخذ ولداً، وليس له أبناء وبنات، فهو متصف بالكمالات، منزه عن النقائص، والآية رد على كل من جعل لله ولداً كاليهود في قولهم عزير ابن الله والنصارى في قولهم المسيح ابن الله ومشركوا العرب في قولهم الملائكة بنات الله، لأن الولد لا بد أن يكون من جنس والده والله تعالى أزلي قديم، ليس كمثله شيء، فلا يمكن أن يكون له ولد، ولأن الولد لا يكون ألاّ لمن له زوجة، والله تعالى ليس له زوجة ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ من أبٍ ولا أم – لأن كل مولود حادث والله تعالى قديم أزلي، فلا يصح أن يكون مولوداً ولا أن يكون له ولد – وقد نفت الآية عنه تعالى إحاطة النسب من جميع الجهات، فهو الأول الذي لا ابتداءَ لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ وليس له جل وعلا مثيل ولا نظير ولا يشبهه أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله خصص زيادة في الإيضاح والبيان[1].

الأحاديث الواردة في فضل هذه السورة:

---

(1) عن صفوة التفاسير للصابوني بالتصرف 3.

قال عليه السلام "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن" رواه البخاري.

وقال عليه السلام لأصحابه: أيَعْجِزُ أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال: "الله الواحد الصمد ثلث القرآن" رواه البخاري وخرجه مسلم بمعناه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من الأنصار يؤُمهم في مسجد قباءَ فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم بها في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلكَ في كل ركعه، فكلمه اصحابه فقالوا: إنك تستفتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها، تجزءُكَ حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بالأخرى، فقال ما أنا بتاركها، إن أحببتم أن أؤمكم بذلكَ وإن كرهتم تركتكم – وكانوا يرون أنه من أفضلهم – وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي – ﷺ – أخبروه الخبر فقال يا فلان "ما يمنعكَ أن تفعل ما يأمركَ به أصحابكَ وما حملكَ على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟" قال إني أحبها قال – ﷺ – حبكَ أياها أدخلكَ الجنة" رواه البخاري.

الباب الثامن عشر

صفة رسول ﷺ في التوراة والإنجيل وبشرى مبعثه

الباب الثامن عشر

صفة رسول الله ﷺ في التوراة والانجيل وبشرى مبعثه

وأما الكتب المتقدمة فقد بشرت برسول الهدى محمد ﷺ:

يقول نص في التوراة - سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلكَ أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه-.

فالبشارة صريحةً في النبي محمد ﷺ ولا تحتمل غيره فإنها إنما وقعت بني من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، فلو كان المراد بها عيسى عليه السلام لقال أقيم لهم نبياً من أنفسهم ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ وهو خطاب للمسليمن من بني إسماعيل.

- أجعل كلامي في فيه- والمقصود هو القرآن الكريم فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد - ﷺ - بالنص والحرف فهو يخرج من فم رسول الله ليتعلمه الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم جميعاً بطريق التلقين الى أن وصلنا كما هو.

بعكس عيسى عليه السلام الذي كان يقول الإنجيل بالمعنى الذي فهمه من الوحي- فهو يتصرف به ليعطي نفس المعنى.

وهذا هو الفرق بين الإنجيل والقرآن، فالقرآن نزل بالنص لا يزيد كلمة ولا ينقص كلمة، بل لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً بل التشكله من فتح اوضم أو كسرةٍ لا يجوز التلاعب بها وهذا حصن منيع من أن يتغير أو يتبدل، أما الأنجيل فهو كلام الله أيضاً ولكنه ليس كالقرآن فهو مما تصرف به عيسى عليه السلام ليعطي نفس المعنى وكذلك تصرف به الحواريون ومع مرور الزمن تغير النص الأصلي وتبدل وأخذ كل واحد يفهم ما يريد ويكتب ما يريد - ويقول لهم ما آمره به - فكل أمرٍ شرعي يخص الدين أَمَرَ به رسول الله ﷺ فهو أمْر من الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين.

مع النص في التوراة: "والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم بإسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه".

ويقول نص في التوراة - أقبل الله من سيناءَ، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فادان، ومعه ربوات الإظهار عن يمينه - وهذه متضمنة للنبوات الثلاث: نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد، عليهم السلام جميعاً.

فمجيئه من سيناء وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ونبأ مظهر نبوته.

وتجليه من ساعير، هو مظهر المسيح من بيت المقدس وساعير هذه قرية معروفة إلى اليوم في فلسطين وهذه بشارة بنبوة المسيح.

وظهوره من فاران هي مكة ومنها بعث رسول الهدى محمد ﷺ.

ونظير هذا قوله سبحانه في القرآن الكريم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ والمراد بالتين والزيتون هو منبتهما

وأرضهما وهي الأرض المقدسة التي هي مظهر المسيح وهي ساعير المشهورة بزيتها وتينها. ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ وهي مكة المكرمة حرم الله التي هي مظهر نبوة محمد ﷺ.

ويقول نص في التوراة في السفر الخامس: "قال موسى لبني إسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين، فسيقيم لكم الرب نبياً من إخوتكم مثلي فأطيعوا ذلك النبي" فإن قيل إن هذا النبي هو عيسى فإن ذلك لا يصح لأن عيسى من نفس بني إسرائيل وقد أرسل إليهم، فقد قال "نبياً من إخوتكم" وإخوة بني إسرائيل هم بنوا إسماعيل فيكون ذلك الرسول هو محمد ﷺ.

ويقول نص في الإنجيل: " إن المسيح قال للحواريين إني ذاهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق لا يتكلم من قبل نفسه إنما هو كما يقال له، وهو يشهد علي وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس، وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به".

الفارقليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد، إما أحمد، أو محمد، أو محمود أو حامد أو نحو ذلك.

وقول المسيح عليه السلام "إني ذاهب" فإن الرسول محمد ﷺ لم يأت إلا بعد ذهاب عيسى عليه السلام.

وقول المسيح عليه السلام "لا يتكلم من قبل نفسه" أي أن محمداً ﷺ لم يأت بهذا الدين وهذه الشريعة من قبل نفسه بل هي من عند الله لا يقدر أن يغير أو يبدل فيها شيء.

وقول المسيح عليه السلام "إنما هو كمال يقال له" فهو – عليه السلام

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ ﴾[1]

أي أنه عليه السلام لا يتكلم إلا بما سمعه من جبريل عن طريق الوحي فهو يقول ما يقال له عن طريق الوحي. ولا يقول شيئاً من قبل نفسه.

وقول المسيح عليه السلام " وهو يشهد علي" هو كقول الله عز وجل ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ ﴾[2].

وذلك يكون يوم القيامة عندما تشهد الأنبياءَ على أقوامهم ثم يجاء برسول الله محمد ﷺ ليشهد على هؤلاء جميعاً أنبياء الله وأقوامهم.

وقول المسيح عليه السلام: " وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس" الخطاب هنا للحواريين الذين هم أنصاره عليه السلام فهم الذين شهدوا له بالرسالة وآمنوا بالإنجيل الذي نزل عليه ويؤيد ذلك قوله عز وجل على لسان الحواريون ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣ ﴾[3]

وقول المسيح عليه السلام "وكل شيء أعده الله لكم يخبركم به" فقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن الجنة والنار وصفتهما وعن البعث والنشور

---

(1) سورة النجم آية رقم 3.

(2) سورة النساء آية رقم 41.

(3) سورة آل عمران آية رقم 53.

والحساب والصراط وما لله من الأسماء والصفات وخبر من قبلنا ونبأ من بعدنا فأخبر من الأمور التي تأتي في المستقبل ما لم يأت به أحد من الأنبياء. وذلك كله من صفات الرسول محمد ﷺ.

وهناك نصوص كثيرة في التوراة والإنجيل تدل على نبوة ورسالة محمد ﷺ نكتفي بهذا القدر والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى إنه سميع مجيب.

الباب التاسع عشر

نداءَات لأهل الكتاب

الباب التاسع عشر

نداءات لأهل الكتاب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ بأن ينادي باليهود والنصارى ويدعوهم إلى عبادة الله وحده فيقول سبحانه آمراً رسوله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ قل يا محمد: يا معشر اليهود والنصارى هلموا وتعالوا إلى كلمة والكلمه تطلق على الجملة المفيدة – كما في بشارة مريم ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾.

أن نفرد العبادة لله وحده مخلصين له الدين ولا نشرك به صليباً ولا طاغوتاً ولا حبراً ولا راهباً ولا شيئاً ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ولا نتخذ من بيننا أناساً نعبدهم كعبادة الله جل وعلا، كما اتخذت اليهود عزيراً والنصارى عيسى – فإطاعة الأحبار والرهبان فيما أحلوا وحرموا هي عبادة لهم، لأنّ التحليل والتحريم لله سبحانه، فالأحبار والرهبان أحلوا وحرموا للناس فجعلوا أنفسهم نداً لله، فإطاعتهم هي عبادة لهم.

روي عن عدي ابن حاتم الطائي أنه قال: ما كنا نعبدهم يـا رسـولَ الله: فقال ﷺ " أما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقـولهم؟ فقـال نعـم، فقـال رسول الله ﷺ "فتلكَ عبادتهم".

أي أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في التحليل والتحريم كمـا يطـاع الـرب فتلك عبادتهم إياهم.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فـإن رفضـوا ذلـكَ النداءَ وتلكَ الدعوة إلى عبادة الله وحده فقولوا لهم اشهدوا يـا معشـر اليهـود والنصارى أننا موحدون مسلمون لله رب العالمين، ومخلصون له بالعبادة.

سورة آل عمران آية رقم 65

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) ﴾

نداء من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب من اليهـود والنصـارى يقـول لهم فيه ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ يـا معشـر اليهـود والنصارى لم تجادلون في دين إبراهيم – فيقول اليهود أنه كان يهوديـاً وتّـدَّعي النصارى أنـه كـان نصـرانياً – فـيرد الله علـيهم بقولـه ﴿ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ﴾ والحال أن اليهودية والنصرانية ما حدثت إلاّ مـن بعده بقرون كثيرة فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً ثم يسـتفهم الله مـنهم وهـو استفهام توبيخ وتبكيت لهم على ذلك القول وذلـك الإدعـاء بقولـه سـبحانه

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فكيف يقول بذلك عاقل – فقد كان بين إبراهيم وموسى ألف سنة وكان بين موسى وعيسى ألف سنة.

سورة آل عمران آية رقم 66

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

ها أنتم يا معشر اليهود والنصارى جادلتم وخاصمتم في عيسى عليه السلام وهو ليس ببعيد عنكم في المسافة الزمنية وقد عشتم زمانه وافتريتم عليه ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فلم تجادلون في ابراهيم ودينه وتنسبونه إلى اليهودية والنصرانية وليس عندكم علم تستندون إليه في قولكم هذا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والله هو الذي يعلم أمور مخلوقاته ومن ضمنهم إبراهيم.

سورة آل عمران آية رقم 67

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾

ثم يقرر الله سبحانه وتعالى – وهو قوله الفصل وحكمه العدل أن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ما كان على دين اليهودية ولا على دين النصرانية ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ ولكن كان مائلاً عن الأديان كلها إلى

دين الإسلام – أي تركَ كل هذه الأديان الشاذة ومال إلى الدين الحق القويم الصحيح الذي لا يقبل الله سواه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ولم يكن مشركاً.

وهذا مما يدل على أن كل دين غير دين الإسلام هو دين شرك الذي يخلد صاحبه في نار جهنم، نعوذ بالله من أن نشرك به شيئاً أو أن نتخذ ديناً غير دين الإسلام.

سورة آل عمران آية رقم 68

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾

إن أحق من انتسب إلى إبراهيم هم أتباعه الذين هم على دينه في كل زمانٍ ومكان ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ومحمد – عليه الصلاة والسلام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ﴾ ومن آمن مع رسوله محمد – عليه السلام – فهم لهم الحق أن يقولوا نحن على دين إبراهيم عليه السلام - ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ والله سبحانه وتعالى يحفظ المؤمنين ويرعاهم. وهذا مما يدل على أن نسب الدم لا ينفع بشيءٍ إذا لم يسير ويتبع الدين الحق وقصة نوح عليه السلام مع ولده معروفة وهذا الموضوع بحاجة الى من يكتب فيه ليعلمَ الناس كيف يكون الانتساب.

ولما أراد تهويد إضلال بعض الصحابة بأن دعوهم إلى اليهودية نزل قوله سبحانه وتعالى:

سورة آل عمران آية رقم 69

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

تمنى اليهود لو ترجعون عن دينكم حسداً وبغياً ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ وهم بصنيعهم هذا لا يضلون إلا أنفسهم إذ يضاعف لهم العذاب بسبب أنهم ضلوا وأضلوا غيرهم من الناس ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ وهم تائهون حائرون لا يشعرون بضياعهم ولا يفطنون لذلك.

سورة آل عمران 70

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

ثم ينادي رب العزة والجلال اليهود والنصارى ويقول لهم: يا أهل الكتاب يا معشر اليهود والنصارى ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لم تنكرون آيات القرآن الكريم المنزلة على رسوله محمد - ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ وأنتم تعلمون أنه حق منزل من عند الله وتشهدون على ذلك.

سورة آل عمران آية رقم 71

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

نداءٌ من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى يقول لهم فيه يا أهل الكتاب ﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ يا معشر اليهود والنصارى لم تخلطون الحق بالباطل لتدلسوا على الناس وتشوهوا الحق بالتبديل والتحريف والتشكيك ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ وتكتمون ما في كتبكم من صفة محمد – ﷺ – ومبعثه ودعوته، وأنتم تعلمون وتصرون على ذلك.

سورة آل عمران آية رقم 98

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ بأن ينادي اليهود والنصارى ويعنفهم على كفرهم بآيات الله فيقول سبحانه آمراً رسوله ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ قل يا رسول الله: يا معشر اليهود والنصارى ﴿لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ لم تجحدون وتنكرون القرآن الكريم وءاياته الكريمةَ مع قيام

الدلائل والبراهين على صدقه ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ﴾ والله سبحانه مطلع على جميع أعمالكم لا يخفى عليه من أعمالكم شيئاً.

سورة آل عمران آية رقم 99

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٩)﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ بأن ينادي اليهود والنصارى ويوبخهم ويعنفهم لأنهم يصدون الناس عن الايمان فيقول سبحانه آمراً رسول ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قل يا محمد: يا معشر اليهود والنصارى ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ لم تمنعون وتصرفون الناس الذين يريدون الإيمان، عن طريق الإسلام وتطلبون أن تكون الطريق معوجةَ ﴿وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ﴾ وأنتم تعلمون أن الإسلام هو الدين الحق والطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ ثم يتوعد الله سبحانه وتعالى ويهدد بأن هؤلاء لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

في الآية السابقة كفروا بآيات الله وفي هذه الآية صدوا عن سبيل الله، فقد جمعوا بين الكفر والصد.

سورة المائدة آية رقم 15

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ ﴾

نداء من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى يقول لهم فيه ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

يا معشر اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالدين الحق يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفونه وتكتمونه في كتابكم – ومما أخفوه صفة رسول الله محمد ﷺ ومبعثه، وآية الرجم، وقصة أصحاب السبت الذين مسخهم الله قردةً وخنازير وأشياء كثيرة.

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ ويترك أشياء كثيرةً لا يبينها لكم خوفاً من الفضائح، ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ فد أتاكم من الله نور– وهو القرآن الكريم – وسماه نوراً لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك – وبكتاب مبين ظاهر الإعجاز.

سورة المائدة آية رقم 16

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَانَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾

يهدي بهذا القرآن مع اتبع رضا الله طرق النجاة والسلامة والاستقامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بإذنه وتوفيقه، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ويدلهم على الطريق الصحيح المستقيم وهو الإسلام.

سورة المائدة آية رقم 19

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾

نداء من الله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى يقول لهم فيه: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ يا معشر اليهود والنصارى لقد بعثنا لكم رسولنا محمداً – ﷺ – بعد انقطاع من الرسل – فقد كان بين عيسى ومحمد عليهم السلام فترةً مدتها خمسمائة وستون سنة لم يبعث فيها رسول – جاءكم ليوضح لكم تعاليم الدين

والشرائع وما غم عليكم في القرون الماضية ﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ حتى لا تحتجوا فتقولوا لم يُبعث لنا رسول يبشرنا وينذرنا ﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ﴾ فلقد بعثنا لكم رسولنا محمداً – ﷺ – ليبشركم وينذركم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ والله قدرته ليس لها حدود فهو قادر على كل شيء فهو يثيب من أطاع رسوله ويعاقب من عصاه.

وهذا مما يدل أن رسول الله محمداً – ﷺ – بُعِث للناس كافةً ومن ضمنهم اليهود والنصارى.

سورة المائدة آية رقم 59

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ٥٩﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً – ﷺ – بأن ينادي اليهود والنصارى ويقول لهم: يا معشر اليهود والنصارى هل تنكرون منّا وتعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبرسوله محمد – ﷺ – وبالقرآن الذي أنزل إلينا ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ وهل تعيبون علينا إيماننا بجميع كتب الله ورسله الذين سبقوا رسالة محمد – ﷺ ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ وأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم، فاسقون.

سورة المائدة آية رقم 68

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً – ﷺ – بأن ينادي اليهود والنصارى ويقول لهم: يا معشر اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين إطلاقاً حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل على الوجه الأكمل: ومن العمل بهما الإيمان بمحمد – ﷺ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ والايمان بالقرآن الذي نزل إليكم من الله سبحانه وتعالى لأن القرآن نزل لجميع الخلق ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۖ﴾ وأقسم ليزيدن هذا القرآن المنزل عليك يا محمد الكثير منهم غلواً في التكذيب وجحوداً لنبوتك[1] وإصراراً على الكفر والضلال، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فلا تحزن على من كفر وكذب لأنها عادتهم ودأبهم – وهذه تسلية للنبي وليس بنهي عن الحزن[2] ، لأن الرسول كان يحزن على من كفر وكذب.

(1) الطبري، / 474.

(2) القرطبي، 6/ 245

سورة المائدة آية رقم 77

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾

يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد - ﷺ - بأن ينادي اليهود والنصارى ويدعوهم إلى عدم تجاوز الحد في دينهم فيقول سبحانه آمراً رسوله ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قل يا محمد يا معشر اليهود والنصارى ﴿ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ لا تتجاوزوا الحد في دينكم فتقولوا أن عيسى هو الله أو تقولوا أنه ولد الله أو ثالث ثلاثة، ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ ولا تبقوا على ضلالكم بعد مبعث رسول الله محمد - ﷺ - واتركوا ما كان عليه أئمتكم وأسلافكم من ضلال ﴿ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ﴾ وأضلوا كثيراً من الخلق بإغوائهم لهم ﴿ وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وضلوا عن سبل السلام والطريق الواضح المستقيم.

قال القرطبي: وتكرير ضلوا للإشارة إلى أنهم ضلوا من قبل وضلوا من بعد[1].

---

(1) سورة المائدة آية رقم.

الباب العشرون

أنواع الكفر وعقوبته

الباب العشرون

أنواع الكفر وعقوبته

جاءت كلمة الكفر في القرآن الكريم أكثر من خمسمائة مرة فما هو الكفر وما هي أنواعه:

أنواع الكفر: الكفر نوعان -

كفر هو مخرج من الملة لا وكفر يخرج من الملة، وما يهمنا هو الكفر المخرج من الملة الذي يخلد صاحبه في جهنم بنص القرآن الكريم، هنا سنبين أنواع الكفر إن شاءَ الله، دون الرجوع إلى النص القرآني، أما بالنسبة إلى جزائه فقد أوردنا النص الكامل مع تفسيره، وإن كانت بعض الآيات تبين نوع الكفر وعقوبته في آنٍ واحد.

-كفر الشيطان – وهو أول من عصى الله – كفر فرعون بقوله أنا ربكم الأعلى وكل من قال مقولته – كفر من أنكر وجود الله- كفر من أنكر ولو رسول من رسل الله ومن ضمنهم عيسى ومحمد عليهم السلام – كفر من قال أن الله هو المسيح ابن مريم – كفر من قال أن الله ثالث ثلاثة – كفر من ارتد عن الإسلام بعد الدخول فيه – كفر من أنكر ولو آية من آيات القرآن الكريم- عبادة غير الله كفر- كفر من أراد ديناً غير دين الإسلام – كفر من أنكر أن أصل البشر من أبيهم آدم وأمهم حواء – إطاعة الشيطان في الكفر كفر – الاستهزاء بدين الإسلام كفر- من أنكر أن هذا القرآن منزّل على محمد من عند الله فهو كافر – من أنكر رسولاً من رسل الله ودعوتهم إلى التوحيد

كفر – قتال أهل الإسلام كفر – إتخاذ الكافرين أولياءَ من دون المؤمنين كفر – قول اليهود أن عزير ابن الله وقول النصارى أن المسيح ابن الله وقول مشركي العرب الملائكة بنات الله كفر – عبادة الأوثان كفر – من قال أنه لن يبعث بعد الموت فهو كافر – إنكار البعث والنشور كفر – الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه كفر – الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعضهم من الكفر – من يجعل لله نداً كفر – إنكار الله وملائكة وكتبه ورسله واليوم الآخر جملةً وتفصيلاً كفر – وليس هذا كل أنواع الكفر بل هناك المزيد وليس المسلم مكلفاً بأن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم على الله يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين.

وليس معنى هذا أن يُترك المجرمون العابثون دون ردع في الدنيا إنما هناك الحدود والقصاص والتعزير قبل يوم القيامة.

بعد أن نبأ الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً – ﷺ – نبأ خلق آدم وأنه سيجعل من ذريته خلفاءَ يخلف بعضهم بعضاً، وكيف استقبلت الملائكة هذا الخبر، وأنه معد للعلم والمعرفة، وبعد أن نفخ الله في آدم من روحه، أمر الملائكة بالسجود لآدم – وهو سجود تذلل وخضوع وطاعة وليس سجود عبادة – وأسكن الله آدم وزوجه الجنة وأمرهم بالأكل من كافة شجر الجنة ما عدا شجرةٍ، فأكلا منها، فأهبط آدم وزوجه إلى الأرض، ثم تاب الله على آدم بعد أن علمه كيف يتوب، ووعده بأن يبعث لذريته رسلاً وكتباً، ووعد من آمن به وعمل بطاعته بأن يتوب عليه ولا ينالهم خوف ولا حزن – وهي آيات

من الله سبحانه وتعالى أنزلها على رسوله محمد – ﷺ – أخبره إياها عن طريق هذا القرآن العظيم، ثم قال الله سبحانه وتعالى:

سورة البقرة آية رقم 39

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

والذين جحدوا هذه الآيات وكذبوا بها ولم يصدقوا بها ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أولئك هم المخلدون في نار جهنم وهم أصحابها.

وهذا رد على من ادعى أن أصل الإنسان غير هذا، فأصل البشر من أبيهم آدم وأمهم حواءَ عليهما السلام، الذي خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون، ونفخ فيه من روحه، وخلق حواءَ زوجةً له، وبث كل البشر من ذريتهما عليهما السلام.

انتهى

سورة البقرة آية رقم 161

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا ودام بهم الحال على كفرهم إلى أن داهمهم الموت وهم على تلك الحالة ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ

﴿ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ أولئكَ يلعنهم الله وملائكته وجميع أهل الأرض ومن ضمنهم الكفار أيضاً لأنهم يلعن بعضهم بعضاً يوم القيامة.

سورة البقرة آية رقم 162

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

خالدين في نار جهنم لا يُفتَرُ عنهم العذاب ولا يخفف بل هو متواصل دائم لا ينقص ولا ينقطع ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ولا هم يمهلون أو يؤجلون بل يعجل لهم العذاب حال مفارقة الحياة لهم.

يحكى أن أحد المسلمين وعظ جاراً له نصرانياً وخوفه من عذاب القبر فلم يستجيب ذلك النصراني وفي صبيحة اليوم التالي وقع هذا النصراني عن حائط له على عنقه فمات، فرآه صاحبه المسلم في المنام فقال له ماذا فعل الله بكَ، فقال النصراني: لقد أخذتني الملائكة إلى جهنم ولم ينظروني لحظة، فإني لم أرى عذاب القبر وهذا صحيح فإن عذاب القبر لعصاة أمة محمد.

سورة البقرة آية رقم 163

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

إلهكم أيها المنافون للتوحيد وأيها المشركون إله واحد له الكون ومن فيه ومن عليه- لا صاحبة له ولا ولد ولم يكن معه أحد وليس معه إله آخر هو وحده له الألوهية المتفردة بها ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ موصوف بالرحمة المبالغ بها رحيم بعباده وهذا لحثهم على التوبة.

سورة آل عمران آية رقم 10

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ١٠ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا بأنه يومَ القيامة ﴿لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم ﴾ لن تفيدهم الأموال ولا الأولاد لا في دفع مضره ولا في جلب منفعة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾ ولا في دفع العذاب ولا من أليم العقاب شيئاً ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ وهم – أي الكفار – حطب جهنم الذي تسجر وتوقد به نار جهنم.

سورة آل عمران آية رقم 12

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٢ ﴾

قل يا محمد لليهود والنصارى ولجميع الكفار ستهزمون في الدنيا وتجمعون يوم القيامة وتساقون ؟إلى جهنم وبئس الفراش جهنم الذي تفترشونه.

سورة آل عمران آية رقم 91

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٩١) ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا وداموا على كفرهم إلى أن باغتهم الموت وهم على تلك الحالة ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ فلن يقبل أن يفتدي نفسه بملء الأرض ذهباً ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ ولو افتدى بوزن جبالها وتلالها وترابها وسهلها ووعرها وبرها وبحرها ذهباً.

روى الشيخان عن أنس ابن مالك أن النبي – ﷺ – قال "يجاءُ بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيتَ لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلكَ ألاَّ تشركَ بي شيئاً فأبيتَ فيؤمر به إلى النار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾، أولئك لهم عذاب موجع مؤلم وليس لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله وليس لهم ناصر.

سورة آل عمران آية رقم 116

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١١٦) ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا – وجاءوا يوم القيامة على حالهم من الكفر أنه ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ لن تدفع عنهم أموالهم التي جمعوها طيلةَ حياتهم ولا أولادهم الذين يحبونهم من

عـذاب الله شـيئاً – أي أنهـم لـو افتـدوا أنفسـهم مـن عـذاب الله بـأموالهم وأولادهم لن يقبل منهم.

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وهم مخلدون في نار جهـنم لا يزولون عنها ولا يحولون وما هم بخارجين منها.

سورة النساء آية رقم 42

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ ﴾

في ذلك اليوم الرهيب يتمنى الكفار الذين أنكروا وحدانيـة الله وعصـوا رسوله ﴿ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ لو يدفنوا في الأرض ثـم تسـوى بهـم كمـا تسوى بالموتى، أو تنشق فتبتلعهم ويكونون ترابـاً ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ ثم لا يستطيعون أن يكتموا الله حديثاً لأنها تشهد عليهم جوارحهم بمـا كـانوا يفعلون.

سورة النساء آية رقم 56

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿٥٦﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا بآياته في الدنيا وماتوا علـى كفـرهم وجاءَوا يوم القيامة على حالتهم ﴿ سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا ﴾ سوف ندخلهم نـاراً

تصلي الجلود ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ كلما انشوت جلودهم ونضجت واحترقت وتفحمت بدلناهم جلوداً غيرها ليدوم لهم ألم العذاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ إن الله عزيز لا يمتنع عليه شيء حكيم في تدبير شؤون خلقه لا يعذب إلا بعدل.

سورة النساء آية رقم 167

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا بأنفسهم وصدوا الناس ومنعوهم من الدخول في دين الإسلام – إما عن طريق القوة أو عن طريق الإضلال والمكر ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ قد ابتعدوا عن الحق بعداً عظيماً وضلوا عن طريق الرشاد ضلالاً بعيداً. لأنهم كفروا بأنفسهم وأضلوا الناس بصدهم عن دين الله.

سورة النساء آية رقم 168

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا وأشركوا – فالكفر هو جحودهم أحد أركان الإيمان وهو كفرهم بالله أو بملائكته أو بكتبه أو برسله أو باليوم

الآخر أو بالقدر، والشرك هو قولهم عزير ابن الله أو المسيح ابن الله أو كما قال مشركوا العرب الملائكة بنات الله أو أن يعبد مع إلهاً آخر ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ أي أن من كانت تلك صفتهم: لن يعفوَ الله عنهم في حال مماتهم على الكفر ولن يهديهم إلى طريق الجنة لأنهم داوموا على الكفر وتمسكوا به حتى ماتوا على ذلك.

سورة النساء آية رقم 169

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾

لن يهديهم إلاّ إلى الطريق المؤدية والموصلة إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً لا يخرجون منها بسبب كفرهم وظلمهم ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ والله سبحانه لا يصعب عليه تخليدهم في نار جهنم ولا يستعظمه.

سورة المائدة آية رقم 36

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو كان لكل كافر ما على الأرض من خيرات وأموال ومثله معه ﴿ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ وأرادَ أن يفتدي بها نفسه من عذاب الله يوم القيامة حين يرى أن العذاب محيط به

وتيقن أنه واقع به لا محالة ﴿مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لا يقبل الله منه تلك الفدية ولا ينفعه ذلك وله عذاب مؤلم موجع.

قال الزمخشري: هذا تمثيل للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجهٍ من الوجوه[1].

روى الشيخان عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرأيت لو كان لكَ ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به قال: فيقول نعم، فيقول الله: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك من ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشركَ".

سورة المائدة آية رقم 37

قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

يريدون الخروج من النار ومما هم فيه من شدة ألمه ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ ولا سبيل لهم إلى الخروج من نار جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ولهم عذاب مستمر دائم لا ينقطع.

لأن الكفر ذنب لا يغفر لصاحبه إذ مات عليه. نسأل الله عز وجل أن لا يجعلنا منهم بمن وكرمه.

---

(1) الكشاف، 1/ 488.

سورة الأنفال آية رقم 36

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى عمن كفروا وصرفوا أموالهم وبذلوها لمنع الناس عن الدخول في دين الإسلام ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ أنهم سينفقونها ثم تصير عليهم حسرةً وندامة لأن من أنفق المال في سبيل الله فله أجر، وكذلك من أنفقه في الصد عن سبيل الله فعليه إثم وحسرة، وستذهب أموالهم دون جدوى ودون فائدة، لأنهم لن ينالوا ما يريدون من إطفاء نور الله وإعلاء كلمة الكفر.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ ﴾ ثم نهايتهم الهزيمة والإندحار. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ ومن كفر منهم ومات على كفره فإلى جهنم يحشر ومن عاش ولم يتب فله الهزيمة في الدنيا.

سورة غافر آية رقم 10

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

يخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين كفروا ينادون يوم القيامة وهم في غمرات جهنم يعذبون أنه سبحانه مقتهم أكثر وأكبر مما هم مقتوا أنفسهم

﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ إذ دُعُوا إلى الايمان في الدنيا – بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره – فأبوا إلا الكفر وأصروا عليه فمقتهم الله لإصرارهم على الكفر ومقتوا هم أنفسهم لكثرة ذنوهم وإصرارهم عليها.

سورة غافر آية رقم 11

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

فقالوا مخاطبين ربهم سبحانه وتعالى وهم في نار جهنم معتذرين إليه لعلهم من هذا العذاب يتخلصون ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ ربنا قد كنا أمواتاً قبل أن تحيينا وتأتي بنا إلى الدنيا ثم أمتنا من الدنيا ثم أحييتنا لتبعثنا إلى الآخرة، فاعترفنا بما بدر منّا من الكفر والإلحاد والخطايا ﴿بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فهل تخرجنا من من هذه النار وتعيدنا إلى الدنيا مرةً أخرى فإنك قادر على ذلك لنغير الحال الذي كنا عليه من الكفر إلى الإيمان والعمل الصالح فيرد الله عليهم بقوله:

سورة غافر آية رقم 12

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

هذا بسبب أنه إذا قيل لكم الله واحد لا شريك له ولا ولد وهو سبحانه غير قابل أن يكون ثلاثة كفرتم بهذا القول ولم تؤمنوا به ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ ﴾وإن دعيتم إلى الإشراك به آمنتم، ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾ فالقضاء لله وحده وليس لمن ادعيتم ألوهيته أو أشركتموهم مع الله في العبادة، فالآن لا سبيل إلى النجاة فهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

سورة الأنفال آية رقم 50

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

لو رأيت وشاهدت أيها المخاطَبْ أو أيها السامع حال الكافرين والملائكة تقبض أرواحهم من الدنيا أي لرأيت أمراً فظيعاً وشأناً لا يكاد يوصف من شدة تلك الساعة على الكافرين ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴾ والملائكة تضرب وجوهم وأدبارهم بمقامع من حديد ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ ويقولون لهم: يامعشر الكفرة ذوقوا عذاب النار المحرقة – بشرورهم بعذاب الحريق في الآخرة وهم في حالةِ النزع وخروج الروح.

سورة الأنفال آية رقم 51

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾

ذلك بسبب إصراركم على الكفر وبما قدمت أيديكم من الآثام ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ وأنه تعالى لا يظلم أحداً فيعذبه بغير ذنب –

فالله سبحانه منفي عنه الظلم فهو سبحانه موصوف بالعدل المطلق لا يعذب إلا بذنب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥ ﴾

يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله محمد – ﷺ – مسلياً له ومواسياً إياه بقوله ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٌ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ ﴾ إن تعجب يا محمد من شيء فليس ما هو أعجب من قول الكفار أإذا متنا وأصبحنا رفاتاً وتراباً هل سنبعث من جديد – فإن انكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه – فالذي خلق السماوات بما فيها من مجرات وشموس وأقمار التي لا حصر لعددها والأرض وما عليها من صنيع متقن قادر على إعادتهم بعد موتهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ ﴾ هؤلاء الذين أنكروا البعث هم الموصوفون بصفة الكفر الجاحدون لقدرة الله ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ ﴾ وهؤلاء الذين يُغَلُّون بالسلاسل في أعناقهم يوم القيامة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وهؤلاءِ الذين يُخَلَّدون في نار جهنم، يدخلون فيها ولا يخرجون منها أبداً.

سورة إبراهيم آية رقم 18

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨ ﴾

مَثَّل الله سبحانه وتعالى أعمال من كفر به من صدقةٍ وصلةٍ رحم التي عملوها في الدنيا يريدون الأجر عليها في الآخرة، كرماد عصفت به ريح شديدة فجعلته هباءَ منثوراً ﴿فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴾ في يوم الريح فيه شديدة هبوبها ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ﴾ لا يستطيعون تحصيل ثواب أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا بسبب الكفر الذي هو محبط للأعمال – كما لا يقدر الإنسان على تجميع هذا الرماد المتناثر الذي طيرته الريح، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴾ ذلك هو الخسران المبين.

قال القرطبي: ضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديد الرماد في يوم عاصف لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى[1].

---

(1) القرطبي، 9/ 353.

سورة الأنبياء آية رقم 39

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

لو عرف الكافرون شدة العذاب وفظاعته حين لا يستطيعون دفع هذا العذاب عن وجوههم ولا عن ظهورهم لأنه محيط بهم من كل جانب لما استعجلوا الوعيد ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ولا ناصر لهم من عذاب الله.

سورة الأنبياء آية رقم 40

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

بل يفاجئون بها فتأتيهم الساعة بغتة فتبهتهم وتحيرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ فلا يقدرون على الهروب منها أو دفعها أو ردها أو صرفها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ولا يمهلون أو يؤخرون.

سورة الحج آية رقم 19

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾

هاذان فريقان اختصموا في ربهم – فريق المؤمنون وفريق الكافرين – ففريق المؤمنين يؤمن بأن الله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ويؤمن

بملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وفريق الكافرين يقول بل له صاحبة وولد وهوثالث ثلاثة ومعه إله من دونه وغير ذلك من أنواع الكفر التي لا حصر لها ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ ففريق الكافرين فصلت لهم ثياب من نار جهنم على قدر أجسادهم ليلبسوها إذا ما صاروا إليها ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ يصب على رؤوسهم سائل مصهور من نار جهنم.

سورة الحج آية رقم 20

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾

تذوب من حره أمعائهم وأحشائهم وجلودهم وما في بطونهم.

سورة الحج آية رقم 21

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾

ولهم سياط ومطارق من الحديد يُضْربون بها ويُدفعون.

سورة الحج آية رقم 22

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾

كلما أراد أهل النار الخروج من النار من شدة غمها ردوا إلى أماكنهم فيها ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ ويقال لهم: ذوقوا عذاب جهنم المحرق الذي كنتم به تكذبون.

سورة النور آية رقم 39

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾

والذين كفروا أعمالهم التي عملوها في الدنيا – وهي الأعمال الصالحة التي كانوا يرجون بها لقاءَ الله مثلها الله سبحانه وتعالى ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ ﴾ كالسراب الذي يُرى بالقيعان يظهر كأنه ماء ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴾ يظنه العطشان ماءً فيسرع إليه من شدة العطش ليشرب منه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ حتى إذا وصل إليه لم ير ماءً ولا شراباً فتعظم حسرته وينهم قلبه، ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ ووجد الله له بالمرصاد فوفاه جزاءَ عمله.

مَثَّل الله سبحانه وتعالى أعمال الكفار كالسراب لأن الأعمال الصالحة لا تنفع ألاّ بالايمان الصحيح فعمله مردود عليه يومَ القيامة لأنه لا تنفع الأعمال الصالحة مع الكفر.

سورة فاطر آية رقم 36.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ ﴾

والذين أنكروا وجحدوا ما أمروا أن يؤمنوا به فنار جهنم لهم يوم القيامة يصلونها جزاءً لهم على كفرهم ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ لايُحكم عليهم بالموت فيستريحوا من عذابها وشدة لظاها ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ولا يخفف من عذابها من شيء بل هي مستعرةٌ لا تخبوا مستمر عليهم عذابها لا ينقطع ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ مِثل ذلك العذاب الشديد نجازي كل مبالغ في الكفر والعصيان.

سورة فاطر آية رقم 37

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

وهم يجأرون ويتصايحون ويستغيثون ويتصارخون في جهنم قائلين: ربنا أخرجنا من هذه النار المحرقة وأعدنا إلى الدنيا لنؤمن بكَ بعد أن كفرنا، ونطيعك بدل أن نعصيكَ، ونمتثل أمر رسلكَ بعد أن عصيناهم – فيرد الله عليهم موبخاً لهم﴿ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾أولم نمهلكم في الدنيا اعماراً مديدةَ وحياةً طويلة يكفي بها أن يتذكر من يريد التذكر، فإنكم قد ضيعتم عماركم في اللهو والترف ولم تستفيدوا من طول أعماركم.

وفي الحديث "أعذر الله إلى إمرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة[1].

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ وجاءكم رسول الله محمد - ﷺ - نذيراً من عند الله

﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ فذوقوا عذاب جهنم المحرق المهين يا معشر الكافرين فليس لكم اليومَ ناصر ولا منقذ ينصركم أوينقذكم من عذاب الله. انتهى

سورة فصلت آية رقم 27

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

فوالله لنذيقن من كفر بهذا القرآن واستهزأ به عذاباً شديداً ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ ولنجازيهم بشر أعمالهم وأسوئها أقبح وأسوأ الجزاء.

---

(1) أخرجه البخاري وترجم إليه بقوله "باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر".

سورة فصلت آية رقم 28

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

نار جهنم جزاء أعداء الله والعذاب الشديد هو أسوأ الجزاءِ، لهم دار الخلد فيها لا يخرجون منها أبداً ﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ جزاءً لهم على جحودهم وإنكارهم آيات القرآن الكريم واستهزائهم بها.

سورة فصلت آية رقم 29

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

وقال الذين جحدوا وأنكروا كتبَ الله ورسله وملائكته واليومَ الآخر وهم في غمرات جهنم ربنا أرنا كل من أضلنا وأغوانا من الجن والإنس – وإنما جاءَ بلفظ الماضي لتحققه ومعناه المستقبل ﴿ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا ﴾ نطأهما بأقدامنا فنجعلهما تحتنا تشفياً وإنتقاماً ﴿ لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ ليكونا في أسفل جهنم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

جزاءَ الكافرين في القرآن الكريم لاحصر له، وقد انتقينا هذه الآيات من القرآن وفيه أشد منه وأسوأ على الكفار، والله أسأل أن يثبتنا على ما يحب ويرضى من الإيمان الصحيح والإسلام له سبحانه إنه مجيب الدعاء.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فلا يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً أن من العدل أن يُعْرَفَ هذا الإسلام على حقيقته، ومن العار أن يُلْصَقَ بهذا الدين ما ليس فيه وأهله لايدافعون عنه بالحجة والبرهان.

فمن قال في الإسلام شيئاً وهو يعلم أنه ليس فيه فقد ظلم نفسه وظلم غيره، أما ظلم نفسه فقد ضل هو وأما ظلم الآخرين فهو إضلال الناس بحيدهم عن الحق وتصوير الدين الإسلامي على غير صورته وحقيقته.

ومن ضمن ما قيل عن الإسلام، أنه يجوز على المواطن غير المسلمين ويلغي شخصيتهم الدينية والتاريخية.

فكيف عاش هؤلاء الناس، طوال العصور الماضية، وخصوصاً العصور الذهبية الأولى، مقارنةً بما صنعته الأديان الأخرى وما تصنعه العقائد والأيديولوجيات الثورية المعاصرة بمخالفيها؟

هذا ما سنبينه في هذا البحث الصغير ونجعله خاتمة هذا الكتاب.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم المجيب.

سجل التاريخ في صورةٍ واضحة مآسي محاكم التفتيش وما كانت تقوم به من إحراقٍ بالنار، ورمي في الزيت المغلي، وإخراج للأظافر، وتقطيع لأجزاء الجسم، قطعة قطعة، زيادةً للألم.

ولذلك عم الرياءَ والنفاق، خوفاً على الأرواح والأموال، وانتشر الكذب والمداهنة، بصورة لا مثيل لها، ووقر في أذهان الناس أن العدالة خرافة من الخرافات، ذلك أن شعار محاكم التفتيش الاستماع إلى الاتهام، وعدم الإصغاء للدفاع.

وكان المقرب لهذه المحاكم هو الذي يتهم الآخرين، فكانت فترة هول تشيب لها الولدان، وكانت باسم الدين وعن رجال الدين.

وحدثنا التاريخ أن نفوذ محاكم التفتيش تخطى أوروبا، وعبر البحار، وتغلغل مع الفاتحين الإسبان في ربوع أمريكا لأول عهدها بالغزو والفتح، وكانت الفظائع والمجازر التي ارتكبت هناك، سواءَ من الفاتحين أو من رجال الدين ضد الهنود الحمر، لا تعد ولا تحصى.

ولما كان الهنود الحمر وثنيين كان التنكيل بهم أشد وأفظع، ولقد سجل التاريخ صراعاً عنيفاً بين النصرانية ورجال العلم والفكر، فالكثير من رجال الفكر والعلم أُحرق أو شنق أو زُج في أعماق السجون وكل ذلك باسم الدين.

وجاءت النهضة بعد جهاد كبير أُريقت فيه الدماء أنهاراً وأتى القرن الثامن عشر والكنيسة تَحْلُمُ بإعادة سابق سيطرتها على العالم الأوروبي فحمل بعض كتابهم على رجال الدين النصراني وعلى النصرانية نفسها حملةَ شعواءَ نالت من قدسية النصرانية ومن رجالاتها.

فهذا هو حصاد تحريف التوراة والإنجيل وعدم اتباع تعاليم السيد المسيح عليه السلام السمحة، ومن ضمن ذلك أيضاً اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وعدم دخولهم في دين الإسلام الذي جاءَ بالرحمة والعدل والإنصاف لكل فرد وجماعة وشعب على وجه البسيطة فالرجوع إلى تعاليم المسيح الصحيحة درب من الخيال لأنها قد اندثرت وأما القوانين الوضعية فهي من صنع البشر ولا تفي بحاجات البشر.

و اعلم أن التشريع الإسلامي ليس كالقوانين الوضعية التي وضعها بنو البشر فالذي فرض هذا التشريع على عباده هو الله سبحانه وتعالى، الذي ليس له مصلحة، فالله سبحانه غني عن خلقه، فما شَرَّعَها سبحانه إلا لإسعاد خلقه.

فالشريعة الإسلامية توجه المجتمع المسلم في كل نواحي الحياة، ومن ضمن التوجيهات الربانية ما كفله سبحانه وتعالى لأهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة، بالعيش في كنف الدولةِ الإسلامية برغد من العيش ما لم يقفوا في وجهه ويحاربوا دعاته، ويضطهدوا أهله.

فالقرآن الكريم ينهى عن مجادلتهم في دينهم إلا بالحسنى، ويبيح مؤآكلة أهل الكتاب، والأكل من ذبائحهم، ومصاهرتهم، هذا لمن هو غير مقيم في دار الإسلام، أما من هو مقيم في دار الإسلام فله هذا ومنزلةً خاصةً ومعاملةً متميزةً من الرفاهية والإِحسان إليه.

فأهل الذمة كما يسميهم الإسلام هم غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الاسلامي من اليهود والنصارى وغيرهم ممن لا يدينون بدين الإسلامٍ فلهم الحق أن يعيشوا في حماية الإسلام آمنين مطمئنين، فهذه الذمة تعطي

أهلها من غير المسلمين ما يشبه في عصرنا الحاضر الجنسية التي تعطيها الدولة لرعاياها، فيكتسبو بذلك حقوق المواطنين ويلزمون بواجباتهم، وهذا عقد ملزم دائم إلى يوم القيامة، بشرط بذل الجزية، وهو مبلغ زهيد جداً بالنسبة لما تفرضه الدول على رعاياها في الوقت الحاضر من الضرائب.

فالدولة الإسلامية معنية بحمايتهم من الإعتداء الخارجي، قال في مطلع "ألي النهى" يجب على الإمام حفظ أهل الذمة ومنع من يؤذيهم، وفك أسراهم، ودفع من قصدهم بأذى إن كانوا بدارنا ولم يكونوا بدار حرب ولو كانوا منفردين ببلد[1].

وننقل قول الإمام الظاهر ابن حزم في كتابه مراتب الإجماع "أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لنقاتلهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلكَ صوناً لمن هو في ذمة رسوله ﷺ فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة[2]. وعلى هذا اتفق علماء المسلمين وأجمعوا عليه.

ومن هنا جاء موقف الشيخ ابن تيمية رحمه الله، حينما تغلب التتار على أهل الشام وذهب الشيخ ليكلم "قطلوشه" في إطلاق الأسرى، فسمح القائد التتري للشيخ بإطلاق سراح أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له بإطلاق أسرى أهل الذمة، فما كان من الشيخ إلا أن قال لا نرضى إلا بإفتكاك جميع الأسرى من اليهود والنصارى -فهم أهل ذمتنا، ولا ندع أسيراً، لامن أهل الذمة، ولا من أهل الملة، فلما رأى إصراره وتشدده أطلقهم له.

---

(1) مطالب أولي النهى، ج2، ص 602-603

(2) نفس المصدر السابق.

وقد حرص الإسلام على حماية دماءِ، وأنفسِ، وأبدان، وأموال، وأعراض، أهل الذمة.

يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه "من قتل معاهداً لم يُرح رائحةَ الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرةِ أربعين عاماً"[1]

روي أن علياً أُتِيَ برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاءَ أخو المقتول فقال: إني عفوت، قال علي: فلعهم هددوكَ وفرقوكَ قال لا، ولكن قتله لا يرد علي أخي، وعوضوا لي رضيت. قال: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا وديته كديتنا[2].

وقد صح عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى بعض أمرائه في مسلم قتل ذمياً، فأمره أن يدفعه إلى وليه، فإن شاءَ قتله وإن شاء عفا عنه... فدفع إليه فضرب عنقه.

وأما قول الرسول ﷺ "لا يقتل مسلم بكافر" فالمراد بالكافر الحربي أي المحارب للمسلمين.

وكذلك لا يجوز إلحاق الضرر بهم لا بضربهم ولا بتعذيبهم ولو تأخروا أو امتنعوا عن أداء الواجبات المالية المقررة عليهم كالجزية والخراج، مع أنه لا يجوز للمسلم أن يمتنع عن أداء الزكاة بأي حال من الأحوال إذا وجد عنده ما يخرج زكاته، ولو امتنع مسلم عن دفع الزكاة صودرت أمواله من قبل الدولة الإسلامية.

---

(1) البخاري.

(2) السنن الكبرى، ج8، ص34.

قال رسول الله ﷺ " إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا"[1].

وكتب عليٌّ إلى بعض ولاته على الخراج: إذا قدمت فقراء أهل الذمة من اليهود والنصارى فلا تبيعن لهم كسوةً شتاءً ولا صيفاً ولا رزقاً يأكلونه، ولا دابةً يعملون عليها، ولا تضربن أحداً منهم سوطاً واحداً بدرهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عَرضاً في شيء من الخراج، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو، معنى العفو - أي ما تطيب نفسه بدفعه فإن أنت خالفت ما أمرتك به، يأخذك الله به دوني، "قال الوالي: إذن أرجع إليك كما خرجت من عندكَ، قال وإن رجعت كما خرجت"[2].

ومن سرق مال ذمي قطعت يده، ومن غصبه ماله عُزِّر، وأعيد المال إلى صاحبه، ومن استدان من ذمي فعليه أن يقضي دينه، فإن مَطَلَهُ وهو غني حبسه الحاكم حتى يقضي دينه.

ويحمي الإسلام عرض الذمي وكرامته، كما يحمي عرض المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل، أو يشنع عليه بالكذب، أو يغتابه، أو يذكره بما يكره، في نفسه أو نسبه أو خَلقه أو خُلُقَهُ، أو غير ذلك مما يتعلق به.

روي أن عمر بن الخطاب رأى شيخاً يهودياً يسأل الناس أيَ يشحد - فسأله عن ذلك فعرف أن الشيخوخة والحاجة ألجأتاه إلى ذلك، فأخذه وذهب به إلى خازن بيت مال المسلمين، وأمره أن يقرض له ولأمثاله من بيت المال ما

---

(1) مسلم

(2) الخراج لأبن يوسف، ص15-16.

يكفيهم ويصلح شأنهم: وقال في ذلك ما أنصفناه إذا أخذنا منه الجزية شاباً ثم نخذله عند الهرم[1].

وعند مقدمة الجابية من أرض دمشق مر في طريقه بقوم مجذمين من النصارى، فأمر أن يُعطوا هم أمثالهم من الصدقات وأن يجري عليهم القوت[2] أي تتوالى الدولة على القيام بطعامهم ومؤونتهم بصفة منتظمة في الدولة الإسلامية.

فالضمان الإجتماعي يشمل جميع أبناء المجتمع، مسلمين وغير مسلمين ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج فإن دفع الضرر عنه واجب ديني، مسلماً كان أو ذمياً.

ويحمي الإسلام حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه.

ولهذا لم يعرف التاريخ شعباً مسلماً حاول إجبار أهل الذمة على الإسلام، كما أقر بذلك المؤرخون الغربيون أنفسهم.

وفي العهدةِ العمرية لأهل إيلياءَ – ما نصه: "هذا ما أعطى عبد الله بن عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان". أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وسائر ملتها لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها ولا من صليبها، ولا من شيءٍ من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود[3].

---

(1) رواه أبو يوسف بالخراج، ص144

(2) البلاذري في فتوح البلدان، ص177، ط، بيروت.

(3) تاريخ الطبري ط دار المعارف بمصر، ج3، ص609.

وفي عهد خالد بن الوليد.... ولهم أن يضربوا نواقيسهم في أي ساعةٍ شاؤوا من ليل أو نهار، إلا في أوقات الصلاة وأن يخرجوا الصلبان في أيام أعيادهم[1].

ومما يجعل المسلم متمسكاً بهذه التعاليم ويرضى بها والعمل بمقتضاها هو حرصه على التمسك بدينه وتنفيذ أحكام شريعته التي وصاه الله سبحانه وتعالى بالتمسك بها والتقيد بأحكامها لنيل رضى ربه وثوابه.

ولأهل الذمة الحق في تولي وظائف الدولة كالمسلم إلا ما غلب عليه الصبغة الدينية كالإمامة، ورئاسة الدولة، وقيادة الجيش، والقضاء بين المسلمين، والولاية على الصدقات.

فالإمامة خلافة عن النبي عليه السلام، وقيادة الجيش من أعمال العبادة في الإسلام، والقضاء إنما حكم بالشريعة الإسلامية، ومثل ذلك الولاية على الصدقات.

وما عدا ذلك يجوز إسناده إلى أهل الذمة. إذا تحققت فيهم الكفاية والأمانة والإخلاص للدولة، إلا من بدا منه الحقد والبغض للإسلام.

ولقد حرص الإسلام كل الحرص على دفع الضرر عنهم ومحاكمة من يظلمهم مهما يكن مركزه ومكانته بين الناس، حتى لو كانت القضية بينه وبين الخليفة نفسه.

فمن مفاخر النظام الإسلامي ما منحه من سلطة وإستقلال للقضاء، فقصة والي مصر عَمْرو بن العاص معروفة حيث ضرب ابن عمرو بن

---

(1) الخراج لأبي يوسف، ص 146.

القبطي وهو نصراني – أي القبطي – بالسوط وقال له: أتسبق ابن الأكرمين فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة وشكا إليه: فاستدعى عمر بن الخطاب امير المؤمنين استدعى عمرو بن العاص وابنه وأعطى السوط لابن القبطي وقال له اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عُمَر وقال له: أدرها على صلعة عَمْرو فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربت من ضربني ثم التفت إلى عَمْرو وقال كلمته الشهير يا عَمْرو متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً.

لقد شعر الناس بكرامتهم، حتى أن لطمةً لطمها أحدهم بغير حق يستنكرها ويستقبحها الإسلام.

وقد حرص الرسول- ﷺ – على أن يملي رسالته على مسمع من صحابته ليعلم الجميع ما يحض عليه الإسلام من تسامح، وهذه هي بعض فقرات هذه الرسالة الكريمة:

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله بشير ونذير وأمين الخلق أجمعين لوديعة الله في خلقه، كي لا يكون حجة على الله بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما، كتبه لمن هم على دينه عهداً لأولئك القوم الذين هم على دين النصرانية من مشارق الأرض إلى مغاربها، بعيدهم وقريبهم، عربهم، وعجمهم، معلومهم ومجهولهم.

فمتى كان راهب أو سائح مجتمعاً في جبل أو واد أومغاره أو معمورة أو سهل أو كنيسة أو معبد، فنحن من ورائهم وإني لأذب عنهم بنفسي والموالي وأنصار شعبي، هم وأموالهم وأثوابهم، إذ انهم من رعيتي وأهل ذمتي، وأدفع

عنهم كل ما يكدرهم من تلك الأثقال التي نعطيها أهل العهد، فلا يعطون إلا ما طابت لهم نفوسهم من الأشياء خراجاً، ولا يكدرون ولا يكون عليهم جبر ولا إكراه، ولا يتغير من كان عليهم قضاة منهم عن وظيفتهم، ولا رهبانهم، ولا أرباب الخلوات عن الإقامة في صوامعهم، ولا يسلب أحد سياحهم، ولا يهدم بيتاً من بيوت كنائسهم ولا يتلفه، ولا يدخل شيئاً من ذلك فيكون قد أفسد عهد الله وخالف رسوله حقيقة.

ولا يطرح خراج على قضاتهم ورهبانهم، ولا من كان مشغولاً في العبادة منهم، ولاشيءً آخر غرامة كان أو خراجاً أو مظلمةً أخرى، فإني أنا احفظ ذمتهم في البحر والبر، والمشرق، والمغرب، والشمال، والجنوب، أينما كانوا وهم في ذمتي وميثاق أمتي من جميع الأشياء التي يكرهونها.

فلا يؤخذ خراج أو أعشار ممن يتعبد في خلوة في الجبال ولا ممن يزرع في تلك الأراضي المباركة، ولا أحد يشاركهم في طريقهم ولا يشترك معهم بدعواه إلى ذلك لغيرهم، ويعطى لهم أقوات المواسم كل أردب قدماً لأجل مأكولهم فلا يقال لهم إن هذا كثير، ولا يطالبون بخراج ولا يؤخذ من ذوي الخراجات أيضا، ولا من الأغنياء وأرباب التجارة زيادةً عن الحد المعين ولا يكلفهم أحد إلى سفر. ولا يلزمهم إلى حربٍ أو نقل سلاح.

إنما المسلمون يحاربون عنهم، ويجادلونهم على أحسن وجه إتباعاً للآية

﴿ ۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦

فيعيشون مرحومين ويمنع عنهم ما يكدرهم أو يضيق عليهم من كل داع أينما كانوا أو في أي محل نزلوا.

وإذا تزوجت نصرانية فلا يكون ذلك إلا برضا تلك المرأة، ولا تمنع من الذهاب إلى كنيستها لأجل الصلاة.

وتجدد كنائسهم فلا يمنعون من تعميرها، ولا من حرمة أديرتهم ولا يلتزمون بنقل سلاح أو حمل حجارة، وإنما المسلمين يذبون عنهم ولا أحد من الأمة يخالف هذا العهد إلى يوم القيامة وانقضاء الدنيا.

كانت هذه الرسالة دستوراً محكماً، وضعه الرسول ﷺ، واتبعه سائر الخلفاء الراشدين والأمراء والولاة في الدولة الإسلامية فعاش أهل الذمة ترفرف عليهم راياتُ التسامح والعدل والحرية والإخاء[1].

وإن من العدل والإنصاف والاعتراف بالجميل للغير – لأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله – أن نقر ونعترف لهذا البلد الطيب المعطاءَ العظيم – الأردن أنه قد أتم هذه المسيرةَ، مسيرة العدل والتسامح والانصاف والأخوة والرحمة بين المواطنين أنفسهم، من جميع أديانهم وجنسياتهم ومللهم عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم غنيهم وفقيرهم، صغيرهم وكبيرهم وبين الدولة ورعاياها من الاحترام والتقدير وما أرى ذلك إلى بتوجيهات سيدي الملكَ المفدى عبد الله الثاني – أبا الحسين – حفظه الله وسياسته المعتدلة، التي تضمن لكل ذي حق حقه – وسياسته الرشيدة مع الأمم والشعوب الأخرى، مما ضمن له وأجبر كل فرد على تقديره وإحترامه والاعتراف له بالجميل فإن سياسته الرشيده أمنت لهذا البلد الطيب الأمن والاستقرار وهي مفخرة من المفاخر التي نفتخر بها بين الأمم والشعوب وإن ما يجعل في الدول المجاورة

---

(1) نظرية المسخ في الشرائع الإسلامية، ص99

للأردن من حروب وويلات ونقص من الأموال والخيرات لخير دليل على ذلك والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الاحقاف

ولهذا قدم الناس من بلدانهم لينعموا بهذا الأمن والأمان والاطمئنان من كل بقاع الأرض فنسأل الله عز وجل أن يديم علينا هذا الأمن والآمان والاستقرار من أيدي العابثين.

وقد ظهر بينهم ما يسمونه بالموحدين وهم اتباع اريوس الذي كان يقول بأن الأب هو الله، والابن مخلوق له وبولس الشمشاطي وأصحابه في أنطاكية يقولون بأن عيسى عبد الله ورسوله ونبي من أنبياءه والظاهر أن هؤلاء كانوا متبعين لإنجيل برنابا الذي كان يعرف بابن الواعظ وهو لاوي قبرصي طاهر نقي وهو خال مرقس وأول نسخة اكتشفت منه كانت في مكتبة البابا سكنس الخامس في روما يختلف عن الأناجيل الأربعة فالله عنده هو رب العالمين خالق السموات والأرض والذبيح من أبناء إبراهيم إنما هو إسماعيل لا اسحاق، يبشر بنبوة محمد ﷺ ولا يقول بصلب المسيح بل يؤكد أن الله ألقى الشبه على يهوذا الاسخربوطي ويحث على الختان ويعتبر عيسى نبياً لا أكثر هذا وقد تم نقل هذا الإنجيل إلى العربية وطبع بها.

فالفارق في العقيدة بين المسلمين والنصارى فارق جوهري، فهناك خلاف بين التوحيد والتثليث، خلاف بين الأنبياء الذي يؤمن بهم كل فريق، فنحن نؤمن بجميع الرسل بينما هم لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد عليه السلام أو يقولون أنه مبعوث للعرب خاصة، مع أن جميع كتبهم بشرت به عليه

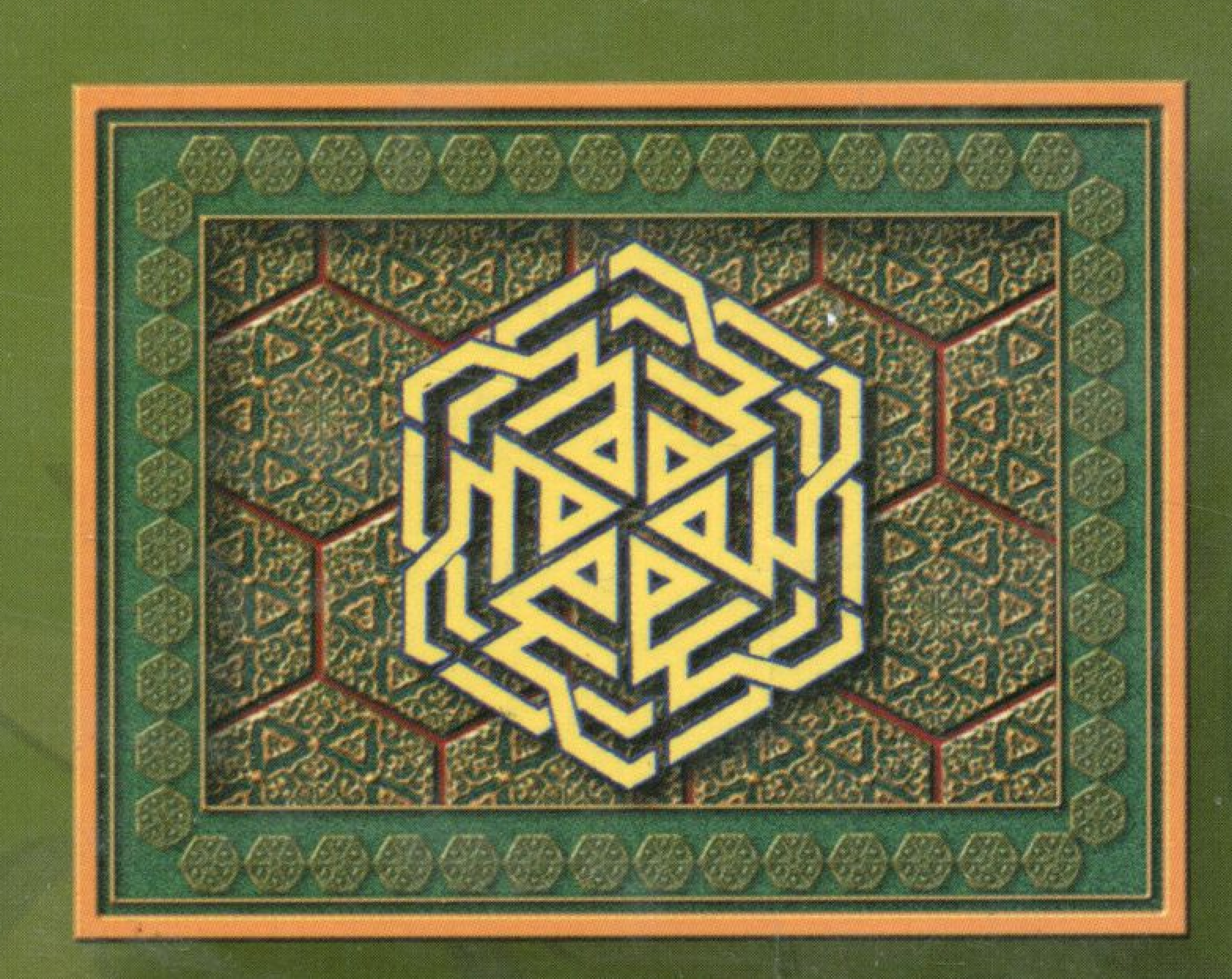
السلام، خلاف حول الدين الذي يهيمن على ماقبله من الأديان خلاف في كثير من الأمور الجوهرية خلاف في المبدأ والوسيلة والغاية والفكر والمنهج والمقصد فأين هذا من حوار الأديان يا أمة الإسلام.

تم بحمد الله و كرمه وجوده والله أسأل أن يجعل عملنا هذا لله وحده مخلصين له أنه سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين.

المراجع

- القرآن الكريم.
- التوراة.
- الزبور.
- الإنجيل.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- تفسير الصابوني، صفوة التفاسير.
- تفسير القرطبي.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير الألوسي، روح المعاني.
- تفسير ابن السعود.
- تفسير الخازن.
- العقيدة الواسطية لأبن تيمية.
- إنجيل متى.
- الجواب الصحيح لم يدل دين المسيح لابن تيمية.
- زاد الميسرة.
- البحر المحيط.
- تفسير الكشّاف.

- تفسير الطبري.
- حاشية الصاوي على الجلالين.
- مختصر ابن كثير.
- الصاوي.
- تفسير الجلالين.
- البيضاوي.
- التسهيل لعلوم التنزيل.
- تفسير الألوسي.
- مجموع الرسائل الكبرى لابن تيمية.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.
- التفسير الكبير.
- نظرية النسخ في الشرائع الإسلامية.



حقيقة المسيح والتثليث

تفسير موضوعي

جامع بين المأثور والمعقول والمنقول
مستمد من أوثق الكتب





دار غيداء
للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله - مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+ - ص.ب : 520946 عمّان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com